جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
دراسات في الإسلام

فلسفة الحضارة الإسلامية

تأليف
الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

القاهرة
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى جاد على كل حى بما اليه حاجته ، ووهب الانسان عقلا به انكشف القناع عن المجهول ، واشرقت على النفس أسرار الموجودات ، وتجلت معرفة صانع الوجود ، ومن اليه ينتهى كل موجود .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، قدوة أهل الحق والباحثين عن اليقين .

اما بعد .

فان لكل مقصد وسيلة ، ولكل غاية بداية .. وعلى قدر عظم المقصد والغاية ، تكون الوسيلة والبداية .

ولقد كانت العقيدة فى حياة المسلمين هى النافذة التى يطلون منها على العوالم الحية ، بكل شعوب هذه العوالم ، وجنبات جوانب العيش فيها .. كما كانت العقيدة ذاتها هى المنظار الذى ترى بواسطته كافة حقائق العلوم والوجود ، ويفسر على ضوئه مجراها ومرساها .

ان مصدر الفاعلية فى عقيدة احتوتها رسالة الاسلام . كان الأس الفكرى والروحى لاطار حضارى ، يحدد لانسان العقيدة « المؤمن » بها ، والمؤتمن على سيادة فكرتها وفلسفتها ، اسلوب التعامل والرقى ، وان تحديد الموقف الحضارى الذى يلتزمه المسلم فى مختلف الأحوال والظروف ، أمر يقع فى الصميم من مهمات المؤمنين بالله . والموقف الحضارى هذا لا يكون حضاريا ما لم يحكم بحركة الانسان وتواجداته وانطلاقاته ، والا فهو موقف نظرى بعيد عن الحضارة ، ليس مكانه ساحات المخصصة ، والممارسة ، والاستيعاب .

والانسان المعاصر يعيش فى هذا العصر على تفتح واع ، وانفتاح على حضارات الآخرين .. وليس هذا التفتح والانفتاح فكرة طارئة على حياة الجيل المعاصر . بل انها الظاهرة التى تجد سندها فى صميم التواجدات الانسانية ، والتحولات المصيرية ، فى دنيا تستقطب الآمال والنشاطات ، وتثير الهموم ، وتستثير الاهتمامات .

ولئن كان الدين الاسلامى امتاز بأنه مؤسس الحضارة الانسانية من حيث الاهتمام بحرية الفكر ، واعزاز حرية وحقوق الانسان ، وتشجيع العلم ، والدعوة الى المساواة بين الناس فى ظل اخاء شامل ، وعدل تام ، واعتزاز بالمثل العليا ، والقيم الخلقية السامية .. فان واقع الأمر يبين للناس أجمعين ، أن الحضارة الانسلامية استمدت مقوماتها من الاسلام ذاته . لأن

الاسلام اطار للانسان الحى ، والمجتمع القوى ، للانسان صاحب الارادة والعزم ، وللمجتمع العطوف المتواد .

والدين الاسلامى يحتوى فى فكره الحضارى :

ـــ على امتداد زمانى فى الفكر الدينى يعرض لقضية البشرية كلها من نشأتها الى غايتها ، فى دقة ، وعمق ، ووضوح .

ـــ وعلى امتداد موضوعى يغطى مجالات الحياة جميعها : اقتصادية ، واجتماعية ، وعقدية ، وتربوية ، وفكرية ، واحداثا تاريخية .

ـــ وعلى استمرارية الاسلام الذى هو دين الأنبياء جميعا ، لكنه جاء على يد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم شاملا لكل البشر ، ولكل العصور .

ـــ وعلى شموله للدعوة الاسلامية ، وانها لا تقتصر على جنس دون جنس او قوم دون قوم ، وانما تنظر الى الانسان فى جوهره ، وترد التفاضل الى التقوى .

والدعوة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار . وبالتالى تمكن الاسلام من أن ينشر الطابع الحضارى الخاص به . ومن حق القلم أن يكتب عن الحضارة الاسلامية واسهامها فى الفكر الانسانى، ومن حق القلم أن يحذر من الاقليمية ، والشعوبية ، والعصبية .

فان هذه أمور تشكل أزمة نفسية خطيرة ، تقف حجر عثرة أمام تقدم الحضارة الاسلامية .

ولعلنا ولهذا السبب نجد ان الاسلام فى توجيه الانسان يقدر « الكيف » والنوع ، أكثر مما يقدر « الكم » فقوة المسلمين فى قوة القلوب والأعمال ، وقوة العقول بالمعارف ، وقوة الارادات بالسلوك المستقيم .

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

مدرس العقيده والفلسفة بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر

القسم الأول

الإسلام والإنسانية

إنسانية الإنسان

ان الاسلام ينظر الى الانسانية عامة ، نظرة التكريم والاحترام ، ويرتب على ذلك حقوقا عامة لجميع البشر .

فالعدل ، والرحمة ، والمساواة ، فى الحقوق والواجبات .. أمور يفرضها الله لجميع الناس ، ما لم يكن اعتداء ، وخروج على سنن الله .

قال تعالى :

﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (١)

فكرمنا فى الآية الكريمة ، تضعيف « كرم » اى جعلنا لهم كرما ، وشرفا ، وفضلا .. وهذه الكرامة ، يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة ، فى امتداد القامة وحسن الصورة ، وحملهم فى البر والبحر .. مما لا يصح لحيوان سوى بنى آدم أن يحمل بارادته ، وقصده ، وتدبيره .

---

(١) سورة الاسراء . الآية رقم ٧٠ .

وتخصصهم بما خصصهم الله به ، من المطاعم ، والمشارب ، والملابس وهذا لا يتسع فيه حيوان ، اتســـاع بنى آدم ، لأنهم يكسبون المال خاصة ، دون الحيوان ويلبسون الثياب ، ويأكلون المركبات من الأطعمة .. وغاية كل حيوان ، أن يأكل لحما نيئا ، أو طعاما غير مركب .

والصحيح الذى يعول عليه .. أن التفضيل انما كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف ، وبه يعرف الله ، ويفهم كلامه ، ويوصل الى نعيمه ، وتصديق رسله .

فالناس جميعا ، على اختلاف أجناسهم ، وتمايز الوانهم ، وتباعد ديارهم وأقطارهم ، يرجعون الى أب واحد ، واصل واحد.

وكثيرا ما ذكر الله سبحانه وتعالى ، هذه الحقيقة ، فى آيات من القرآن الكريم وبينها فى أساليب شتى ، وبعبارات رائعة .

ولماذا كل هذا الاهتمام ؟ لا شك انه لكى يرعى الناس هذا الاعتبار ويعيشوا فى اخاء ، وتعاون ، وتعارف ، وتبادل .

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء الآية الأولى .

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1]

فالله هو الذى انشأ الانسانية ، من نفس واحدة ، وهى الانسان الأول ، الذى تسلسل منه سائر الناس ، بالتوالد .. وهو آدم عليه السلام .

وفى انشاء جميع الناس من نفس واحده ، آيات بينات ، على قدرة الله ، وعلمه وحكمته ، ووحدانيته .

وفى التذكير بذلك .. ايماء الى ما يجب من شكر نعمته ، وارشاد الى ما يجب من التعاون ، والتعارف ، بين البشر .

وأن يكون هذا التفرق الى شعوب وقبائل .. مدعاة الى العمل الجاد والتعاون الصادق .. لا الى التعادى والتقاتل ، وبث روح العداوة ، والبغضاء بين الناس .

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٩٨ .

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (١)

كذلك أحاديث الرسول الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، تجىء مذكرة الناس بحقيقة رجوعهم الى أب واحد .. تأكيدا ، وتوضيحا ، لتعاليم القرآن الكريم ، وتقريرا لمبادئه ، وآدابه .

روى الطبرانى ، ان النبى صلى الله عليه وسلم ، خطب الناس ، بمنى فى وسط أيام التشريق ، وهو على بعير .. قال : **(يأيها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على أسود ، الا بالتقوى .. الا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال : فليبلغ الشاهد الغائب) .**

وعن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **(ان الله لا ينظر الى احسابكم ، ولا الى انسابكم ،**

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

ولا الى اجسامكم ، ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه . وانمـــا انتم بنو آدم واحبكم اليه أتقاكم) .

فاهتمام الاسلام بالناس ، فيه ترسيخ معنى الانسانية العام، فى نفس المسلم الذى يقرأ القرآن ، ويستمع اليه ، ويعمل به .. كما أن هـــذا كله .. يبين وحـــدة الجنس البشرى .. والقرآن الكريم .. لا يخاطب العرب فقط ، ولا قومية معينة ولا شعبا معينا .. بل يخاطب الانسان بوجه عام .

ومن هذا تعرف ان الاســـلام ، يلائم الفطرة التى فطر الله الناس عليها فهو يؤكد فى وضوح أن الدين الاسلامى ، قد نظر نظرة خاصة فاحصة ، دقيقة للانسان فى ذاته وتركيب كيانه النفسى ، والخلقى ، والاجتماعى .

ونظر الى الحياة التى يحياها هذا الانسان فى دنياه .. فعنى بالحياة ، والأحياء .. ورســـــم لهما أكمـــل صـــورة ، تلائـــم ما يصلحهما معا .

فالحياة فى الاسلام .. تخضع لنظام دقيق ، ولا يسمح لجانب منها ، أن ينمو على حساب جانب آخر .. وانما تتوازن جوانب الحياة كلها ، على نسق فريد جاء به الاسلام دون سواه ، من الأديان .. هذه نظرة الاســـلام للحياة .. واما الأحياء من بنى البشر ، فان الاسلام نظر اليهم نظرة العارف بأسراهم وما يصلحهم.

واعترف الاسلام بأن للانسان مطالب ، لروحه ، وعقله ، وبدنه .. ونظمها بحيث تحقق له افضل ألوان الحياه .

الانسان فى داخل نفسه ، ومع حاجاته الذاتية الروحية ، والعقلية ، والبدنية والانسان فى أسرته .

والانسان مع المجتمع ، والانسان مع الكون كله ، الانسان فى كل هذه المجالات موضع اهتمام الاسلام ، ومن أجله شرع تلك النظم الخالدة ، الصالحة لكل زمان ومكان ، والمحققة للسعادة فى الدنيا والآخرة .

وانسانية الانسان فى الاسلام حقيقة حية ، والأسرة الاجتماعية فى الاسلام حقيقة حية .

والنوع الانسانى الذى تنتهى شعوبه ، وقبائله ، الى أسرة كبيرة ، يجمعها التعارف هو كذلك حقيقة حية .

والاسلام لا يهدم شيئا من كيان الاجتماع الذى استفاده بنو الانسان من أطوار حياتهم الاجتماعية فى الحقب الطوال .. لأن المفهوم من سير الهداية الالهية كما يسردها القرآن الكريم : ان حياة النوع الانسانى .. تاريخ متصل يتم بعضه بعضا ، وينتهى الى التعارف بين الشعوب والقبائل ، فى أخوة عامة لا فضل فيها لقوم على غيرهم الا بالعمل الصالح .. ولهذا يحرص الاسلام على كيان الاجتماع فى الشخصية الفردية وفى الأسرة ، وفى الايمان بوحدة النوع .

لكن ما مكان الانسان من الكون كله .. ؟

ما مكان الانسانية من هذه السيارة الأرضية ، بين خلائقها الأحياء . ؟

ما مكان الانسان بين كل جماعة من هذا النوع الواحد ؟

أو هذا النوع الذى يتألف من جملة أنواع ، ويضمها عنوان : « الانسان » يقول العقاد : « وهى أسئلة لا جواب لها ، فى غير عقيدة دينية ، تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه وصفوة ايمانه بغيبها ، تجمع له زيدة الثقة بعقله وزيدة الثقه بالحياه حياته هو .. وحياة سائر الأحياء .. والأكوان .

وهذه العقيدة الدينية التى نستلهم فيها الجواب .. لا توجد اليوم لتنبذ غدا ولا توجد على الأيام للعارفين .. دون الجاهلين .. وللعاقلين دون الخاملين ولمن يطلبون الخير للنــاس .. دون من يعتقدون تسليما ورهبة .. ولمن يسعون ســعيهم الى العـلم والايمان .. دون من يقعدون فى مواطنهم منتظرين .. وقد يقعدون وهم يجهلون انهم قاعدون ، لا يعلمون ما الخبر ؟ وما المنتظر ؟ ان علموا انهم منتظرون .

هذه العقيدة بنية حية .. قوامها دهور وأمم ، ومعايش ، وآمال ونفوس خلقت ونفوس لم تخلق .

والمنصف لا يستطيع أن ينصح لأهــل القرآن بعقيــدة فى الانسان ، والانسانية أصح ، وأصلح من عقيدتهم التى يستوحونها من القرآن الكريم .

الانسان فى عقيدة القرآن هو الخليفة المسئول ، بين جميع ما خلق الله .. يدين بعقله ، فيما رأى وسمع .. ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ومالا تدركه الأبصار والأسماع .

والانسانية من أسلافها الى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد ، واله واحد ، افضلها من عمل حسنا ، واتقى سيئا .

والانسان مسئول عن عمله ، ولا يؤخذ فرد بوزر فرد ، ولا أمة بوزر أمة . قال تعالى :

((**كل امرىء بما كسب رهين(١)**)) . وقال تعالى : ((**ولا تزر وازرة وزر اخرى(٢)**)) .

وقال تعالى :

((**تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون(٣)**)) .

اما مناط المسئولية فى القرآن ، فهو جامع لكل ركن من أركانها ، يتغلغل اليه فقه الباحثين عن حكمة التشريع الدينى أو التشريع فى الموضوع .

فالاسلام الحنيف .. ينظر الى الانسانية نظرة تضعه فوق مستوى الكائنات الحية جميعها ، فى هذا الكوكب الذى أقامه الله تعالى فيه ، ليكون خليفة له عليه .

---

(١) سورة الطور الآية رقم ٢١ .
(٢) سورة الأنعام الآية رقم ١٦٤ وسورة الاسراء الآية رقم ١٥ .
(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٣٤ .

وقد استعمل القرآن الكريم ، لفظ الانسان نحوا من ثمانين مرة .. فتحدث عن خلقة الانسان : « **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون(١) »** .

« **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين(٢) »** .. « **وبدأ خلق الانسان من طين(٣) »** « **وكان الانسان عجولا(٤) »** .. **وتحدث عن** نفسية الانسان « **ان الانسان لظلوم كفار(٥) »** «**وكان الانسان أكثر شيء جدلا(٦) »** .. « **ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى(٧) »** .

وخاطب الانسان مذكرا : « **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم(٨) »** .

« **يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه(٩) »** .

وكلمة الناس الدالة على الجنس البشرى ، يتكرر استعمالها نحوا من مائة وأربعين مرة .. كثيرا منها ورد خطابا للبشر عموما .. **كقوله تعالى :**

---

(١) سورة الحجر الآية رقم ٢٦ .
(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ١٢ .
(٣) سورة السجدة الآية رقم ٧ .
(٤) سورة الاسراء الآية رقم ١١ .
(٥) سورة ابراهيم الآية رقم ٣٤ .
(٦) سورة الكهف الآية رقم ٥٤ .
(٧) سورة العلق الآية رقم ٦ .
(٨) سورة الانفطار الآية رقم ٦ .
(٩) سورة الانشقاق الآية رقم ٦ .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا(١) » .

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم(٢) » « يا ايها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا(٣) » . « يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم(٤)» .

وورد فى معرض الحض على تقديم الخير .. « وقولوا للناس حسنا(٥) » ، « والعافين عن الناس(٦) » ، « ولا تبخسوا الناس أشياءهم(٧) » .

« لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف او اصلاح بين الناس(٨) » . « واذا حكمتم بين النـــاس أن تحكموا بالعــدل(٩) » .

وكلمة الناس استعملت فى القرآن الكريم ، بمعنى الجنس البشرى عموما ، لا بمعنى المسلمين او العرب بدليل قوله تعالى فى الآيات التالية ، مما لا يمكن حمله الا على الناس عموماً .

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٣ .
(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢١ .
(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٦٨ .
(٤) سورة يونس الآية رقم ٢٣ .
(٥) سورة البقرة الآية رقم ٨٣ .
(٦) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٤ .
(٧) سورة الاعراف الآية رقم ٨٥ وسورة هود الآية رقم ٨٥ .
(٨) سورة النساء الآية رقم ١١٤ .
(٩) سورة النساء الآية رقم ٥٨ .

« ان الله لذو فضل على الناس(١) » ، **« يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس(٢) »** ، **« وتلك الأيام نداولها بين الناس(٣) »** .

فالقرآن الكريم لا يخاطب قومية معينة ، ولا شعبا معينا .. بل يخاطب الانسان **بوجه عام** .. ويتحدث عن الأمم : **« كذلك ارسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم(٤) »** .

واستعمل القرآن كذلك كلمة البشر ، للدلالة على الجنس الانسانى الواحد وقد استعملت هذه الكلمة ، فى أكثر من خمس وثلاثين اية ، كقوله تعالى :

« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا(٥) » ، **« وهو الذى خلق من الماء بشرا(٦) »** .

وقوله : **« ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون(٧) »** .

وقوله : **« قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم(٨) »** .

---

(١) سورة غافر الآية رقم ٦١ .
(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٨٩ .
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٠ .
(٤) سورة الرعد الآية رقم ٣٠ .
(٥) سورة الحجر الآية رقم ٢٨ .
(٦) سورة الفرقان الآية رقم ٥٤ .
(٧) سورة الروم الآية رقم ٢٠ .
(٨) سورة ابراهيم الآية رقم ١١ .

والآية القرآنية : ((**ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى(١)**))
تشير بوضوح الى ان كلمة الناس .. تشمل :

أولا : الذكور والأناث .. فهما جنس واحد . كما أشار الى ذلك فى آيات أخرى :

((ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا(٢))) ، ((هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها(٣))) .

ثانيا : تشير الآية بوضوح الى أن البشرية تتألف من مجتمعات قبلية وشعوب أو اقوام . وكلمة الناس هى التى تعبر عن الجنس العام الذى يشملهم جميعا .

وأخيرا فان الآية تشير الى اتجـــاه تطور البشرية ، أسرا وقبائل وشعوبا فى اتجاه التعارف ، والتعارف هو المعرفة المتبادلة من جميع الأطراف .. وهو الشرط الأساسى لتحقيق التعاون الذى أوصى به القرآن فى قوله تعالى :

((وتعاونوا على البـــر والتقـــوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان(٤))) .

ان الاسلام جاء كما يفهم من النصوص القرآنية ، ليقيم بين البشر جميعا رابطة الانسانية ، القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله الخالق جل وعلا .. فهم جميعا عباد الله .

---

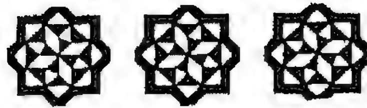
(١) سورة الحجرات الآية رقم ١٣ .
(٢) سورة الروم الآية رقم ٢١ .
(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٩ .
(٤) سورة المائدة الآية رقم ٢ .

والرسول الذى أمر بتبليغ الاسلام .. خوطب فى القرآن على هذا الأساس « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا(١)** » « **وما أرسلناك الا كافة للناس(٢)** » .. « **ليكون للعالمين نذيرا(٣)** ».

ان هذا الاتجاه الانسانى .. ظاهر فى تعاليم الاسلام ، وتوجيهاته والقرآن يصرح بأن الانسان هو خليفة الله فى الأرض .

والقرآن حين يتحدث عن الانسان .. فانه يتحدث عن الانسان حديثا يملأ الصدر بدفء الأمل ، وسعة الرجاء ، ويفتح عليه صفحات مشرقة للوجود تغرى الانسان بالوقوف عند كل موجود .

فالانسان فى الاسلام .. ذلك الذى يمتلىء كيانه بمشاعر العزة والسيادة والقوة والاستفادة بكل ما فى الأرض ، من قوى يسخرها لسلطانه ، ويقوم بها على خلافة الله فى الأرض ، مستصحبا فى ذلك عقله ، المحرر من كل ولاء لغير الحق ، المطلق من كل قيد .. غير قيد البر والاحسان .



---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٨
(٢) سورة سبأ الآية رقم ٢٨ .
(٣) سورة الفرقان الآية رقم ١ .

الإنسان والإسلام

الانسان الذى يؤمن برسالة الاسلام ، لا يستطيع الا أن يصدق النبيين والمرسلين الذين صدقهم الاسلام ودعا الى الايمان بهم .

وهذا يشكل حلقة فى وحدة الايمان التى أكد عليها الاسلام ، ويتبناها فى جانبه العقائدى ، ونحدث عنها فى القرآن الكريم .

ووحدة الايمان هذه حقيقة تفرضها وحدة المصدر بصورة قاطعة ، لا تقبل الرد أو التشكيك ولا يغير من واقعها أبدا وجود فواصل البعد الزمنى بين الأنبياء الذين أرسلهم الله الى عباده .

وربما يكون لعامل الزمن أثره الواضح فى اختلاف التشريعات التى يفرض فيها أن تنسجم مع المستوى الفكرى والمماشى لمن تكون لهم ، ولكن الايمان واحد فى أساسه .

وهناك آيات فى القرآن الكريم تشير فى وضوح الى حقيقة وحدة الايمان وتغيير التشريعات .

قال الله تعالى ((**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**(1))) .

---

(1) سورة الشورى الآية رقم ١٣ .

وقال تعالى : ((**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا(١)**)) .

فالآية الأولى تعنى وحده الايمان فى أسسه .

والآية الثانية تعنى متغيرات الشريعة وما يعود الى الأعمال .

والايمان هنا يعنى العقيدة ممثلة بالأصول التى يقوم عليها الدين .

ولن تجد هذه الأصول فى الاسلام الا مماثلة لتلك التى قامت عليها جميع الأديان السماوية التى كان لها أنبياء ورسل بعثهم الله لهداية الناس على اختلاف العصور وتباعد الأزمنة ، وهذه الأصول لا تتعدى .

اولا : الايمان بالله تعالى رب العالمين الذى لا اله الا هو ، وحده المعبود لا شريك له ، خالق كل ما فى الوجود .

ثانيا : الايمان بالغيب : اليوم الآخر ، البعث ، الجزاء ، الجنة ، النار والثواب والعقاب والملائكة .

ثالثا : الايمان بالنبيين والمرسلين وتصديقهم والأخذ بتعاليمهم وارشاداتهم والعمل بما أنزل عليهم من وحى الله .

هذه هى أصول الايمان التى حملها كل نبى بعثه الله تعالى ، وقد جمعت هذه الأصول آيات من القرآن الكريم فى صدر سورة البقرة :

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٤٨ .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة الآيات ١ — ٤ (٢) سورة البقرة الآية رقم ١٧٧

فالاسلام فى جانبه الايمانى العقائدى ، أكد هــذه الأسس تأكيدا واضحا . ولكنه فى الجانب الذى يستتبع الشريعة أى جانب الالتزام والعمل ، كان الاسلام الفصل الأخير فى تكامل التشريعات.

وهذا الطابع الشمولى الملتقى فى اسس العقيدة والتكامل التشريعى ، هو الذى جعل من الاسلام ، الصيغة الوحيدة الباقية المستمرة . ولعل هذا هو السر الذى جعل من الاســلام ، كلمة تختص بالدين الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام .

وكلمة الاسلام فى اطار اللفظ تعنى فى الأصــل التســليم والخضوع .. وفى مفهوم الدين ومن خلال اطلاقاتها فيه يراد منها التسليم والخضوع لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له .

وبهذا المعنى البسيط والتسليم والخضوع لأمر الله ومشيئته اطلقت على كل من آمن بالله وسلم لأمر الله عن أى طريق وباتباع اى رسول ونبى .

فاتباع كل الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى ، وكل من يدين لله بأى دين من الأديان السماوية هم مسلمون بهذا المعنى ويصسح اطلاق الاسلام عليهم .

وفى آيات القرآن الكريم كثير من الآيات التى تشير الى ذلك اذ أن القرآن الكريم اعتبر كل من آمن بالله تعالى والتزم بطاعة انبيائه مسلما . سواء كان تابعا لابراهيم أو موسى أو عيسى أو محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

قال تعالى :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٣٢ .
(٢) سورة يوسف الآية رقم ١٠١ .
(٣) سورة آل عمران الآية رقم ٥٢ .

فلم يكن الاسلام مقتصرا على فئة دون فئة من المؤمنين ، فكل مسلم بحكم ايمانه وتسليمه لأمر الله وخضوعه لمشيئته ، هو من المؤمنين . فالاسلام فى هذا الاطار ، يتسع ليشمل كل من وضع قدمه ، وسار فى مسيرة الايمان .

ولكن الاسلام أصبح من بعد ، وعندما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وبلغ رسالة ربه ، أصبح مقتصرا على تلك الرسالة وحدها ومختصا بها .

والآية الكريمة التى اعتبرت الدين عند الله الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » لا تعنى الا مجموعة المبادىء الاسلامية وتعاليم الاسلام .

وما ذلك الا لان معنى التسليم لأمر الله والخضوع لمشيئته الذى يعنيه الاسلام فى مضمونه البسيط أصبح له فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أسس ثابتة لا يمكن تحققه الا من خلالها ، وعبر واقعها .

وقد أصبحت التعاليم التى تضمنتها رسالة الاسلام ، هى التى يمكن لها أن تعبر عنه فى صيغته الأخيرة .

وهذه التعاليم تمثل المضامين العقائدية واصول الايمان التى أكدها الرسل والأنبياء وتضيف اليها نظمها التشريعية المتكاملة الشاملة لمختلف جوانب الحياة .

اذن رسالة الاسلام هى الاسلام بعد أن كون فى واقعه « وحدة الايمان » وجاء بالشريعة الدائمةالصالحة لكل زمان ومكان.

قال الله تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١)

ومن هنا كان الاسلام يشتمل :

اولا : على امتداد زمانى فى الفكر الدينى ، يعرض لقضية البشرية من نشأتها الى غايتها فى ايجاز واجمال .

ثانيا : شمول موضوعى يغطى مجالات الحياة جميعا سياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية وتربوية وفكرية وأحداث تاريخية .

ثالثا : شمول الأديان كلها ، والمسلم بنص القرآن الكريم مطالب بتصديق الأنبياء جميعا .

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٣ .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ (١)

رابعا : شمول الدعوة الاسلامية . وانهـا لا تقتصر على جنس دون جنس أو قوم دون قوم . وانما تنظر الى الانسـان فى جوهره .

وترد التفاضل الى التقوى .

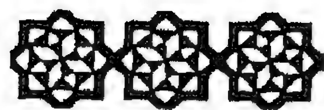
قال تعالى فى سورة الحجرات :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٣٦ .
(٢) سورة الحجرات الآية رقم ١٣ .

والى هذا الأصل العريض من المساواة الانســانية يشــير الرسول عليه الصلاة والسلام فى خطبة الوداع فيقول : **(ايها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحــد : كلكم لادم وادم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعــربى فضــل على عجمى الا بالتقوى) .**



الإخاء والتقدم الحضاري

الأخاء الاسلامى .. هو الأصل الأصيل فى بناء دولة الاسلام، وقيام الأمة الاسلامية .. ولقد كان العرب – قبل الاسلام – والناس معهم على شفا حفرة من النار . متشاكسون ، متنافرون، متحاربون . سنين طويلة ، من اجل ناقة فنزلت الآيات .. قيل لهم : تحابوا . قيل لهم : تآخوا . فتآخوا .. ثم قيل لهم : انفروا . فهبوا خفافا وثقالا .. تنزلت الآيات .. فقالوا : سمعنا واطعنا . ومؤمنو مكة ، على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما فى التاريخ الا المهاجرين ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما فى التاريخ الا الانصار فاذا بالفرقاء والمتشاكسون دولة(١).

والاسلام لم يكتف باطلاق اسم المهاجرين ، على المؤمنين من اهل مكة الذين هاجروا الى المدينة .. ولم يكتف أيضا باطلاق اسم الانصار على قبيلتى الأوس والخزرج أبناء قيلة .. مع ان اطلاق اسم الانصار والمهاجرين كافيا لاعطاء العمق الاسلامى الأصيل .

لم يكتف الاسلام بهذا . ولذا نجد رسول الله – صلى الله

---

(١) مجلة البحوث الاسلامية . العدد الأول . الرياض . السعودية .

عليه وسلم — يبدأ فى البناء الأخوى الكامل ، ليقيم دولة الاسلام ، على أساس سليم .

قال ابن اسحاق : (وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال فيما بلغنا : تآخوا فى الله أخوين أخوين(١)) .

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٢)

لقد بلغ المسلمون الأوائل فى الايثار — بكل ما تشمله كلمة ايثار من معنى ومفهوم ومدلول — بلغوا درجة عليا ، ومكانة عظمى . بما وقر فى قلوبهم من ايمان وبما أشرق فى نفوسهم من يقين .

قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم، تجعل النفس الانسانية ، تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام م. الجزء الثانى ص ٣٥١ .
(٢) سورة الحشر . الآية رقم ٩ .

ولقد صنع ذلك الايمان وهذا التصديق ، جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة . فكانوا يؤثرون اخوانهم بأموالهم ، وديارهم ، على أنفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم فى الغنائم من أجلهم ، ويقدمون حاجة اخوانهم على حاجتهم ، حبا لهم ، ورغبة فى اخوتهم(١) .

والايثار فى الاسلام هو : تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين . وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة يقال : أثرته بكذا أى خصصته به وفضلته(٢) .

والذين سكنوا المدينة ، وأشربت قلوبهم حب الايمان ، من قبل هجرة أولئك المهاجرين .. لهم صفات كريمة وشيم جليلة ، تدل على كرم النفس ونبل الطباع(٣) . ولذا كانوا يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدءون بالناس قبلهم . وفى حال احتياجهم الى ذلك .. وهؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وهؤلاء أثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما أنفقوه(٤) .

وجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر : أبا دجانة سمك بن خرشة ، وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة . وقال

---

(١) الدين والحياة ع ١١٩ ص ٦ وزارة الأوقاف .
(٢) تفسير القرآن العظيم للامام القرطبى ج ١٨ ص ٢٤ .
(٣) تفسير القرآن للامام المراغى ج ٢٨ ص ٤٣ .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٨ .

لهم : (ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة) .

فقالت الانصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار : « **ان اخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا اليكم** ».

فقالوا : اموالنا بيننا قطائع .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو غير ذلك ؟

فقالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ .

قال : هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر. فقالوا : نعم يا رسول الله(١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالت الانصار للرسول صلى الله عليه وسلم : أقسم بيننا وبين اخواننا النخيل . فقال الرسول : لا فقالوا : « المهاجرون » تكفوننا المؤنة ونشرككم فى الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا(٢) .

نعم .. ان الايمان الصادق اذا صادف قلوبا ، هيئت له ، تمكن فيها ونما وترعرع ، وأشرقت اثاره على من حولها ، وسعى

---

(١) الكشاف . للزمخشرى ج ٤ ص ٨٤ . وتفسير القرآن العظيم لابن كثير . ج ٤ ص ٣٣٨ والحديث رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٨ ص ٩٥ والحديث رواه البخارى.

أصحاب هذه القلوب المؤمنـــه ، فى بذل ما يرضى من حولهم من المسلمين .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خيرة من تمسك بفضيلة الايثار حرصا على اخوة الاسلام ، والتوادد فى ظلال الايمان(١) .

قال تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ (٢)

والمؤاخاة فى الناس ، تكون على وجهين :

أحدهما : اخوة مكتسبة بالاتفاق الجارى مجرى الاضطرار .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٧ والحديث رواه البخارى.
(٢) سورة الفتح الآية رقم ٢٩ .
(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٧٥ .

والثانية : أخوة مكتسبة بالقصد والاختيار .

فأما المكتسبة بالاتفاق .. فهى أوكد حالا ، لأنها تنعقد عن أسباب تعود اليها .. والمكتسبة بالقصد ، تعقد لها أسباب ، تنقاد اليها ، وما كان جاريا بالطبع فهو ألزم مما هو حادث بالقصد .

أما المكتسبة بالاتفاق ، فلها أسباب : ما هو الا سبب ، يبتدى منه ويتشعب ، وأول أسباب الأخاء : التجانس فى حال يجتمعان فيها ، ويأتلفان بها . وان قوى التجانس ، قوى الائتلاف به ، وان ضعف كان ضعيفا ، ما لم تحدث علة اخرى يقوى بها الائتلاف . وانما كان كذلك ، لأن الائتلاف بالتشاكل ، والتشاكل بالتجانس ، فاذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من كل وجه ، ومع انتفاء التشاكل يعدم الائتلاف .. فثبت ان التجانس وان تنوع أصل الاخاء . وقاعدة الائتلاف .

وقد روى يحيى بن سعيد عن عمر ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه قال : **« الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . فالأرواح بالتجانس متعارفة ، وبفقده متناكرة . قال الشاعر :**

فـلا تحتقر نفسى وانت خليلهـا

فكل امرىء يصبو الى من يشاكل

وقال آخر :

فقلت اخى قــالوا اخ من قرابة

فقلت لهم ان الشــكول اقــارب

نســيبى فى رايى وعــزمى وهمتى

وان فرقتنا فى الأصــول المناسب

ثم يحدث بالتجانس . المواصــلة بين المتجــانسين . وهى المرتبة الثانية من مراتب الاخاء . وسبب المواصلة بينهمــا وجود الاتفاق معهما ، فصارت المواصلة نتيجــة التجانس .. والسبب فيه وجود الاتفاق . لأن عدم الاتفاق منفر .

وقد قال الشاعر :

النـــاس ان وافقتهــم عــذبوا

اولا فـــان جنــاهم مـــــر

كــم من رياض لا انيــس بهـــا

تركت لأن طريقهـــا وعـــر

ثم يحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهى المؤانسة ، وسببها : الانبســـاط .

ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهى المصافاة ، وسببها: خلوص النية .. ورتبة خامسة .. وهى المودة وســـببها الثقة . وهذه الرتبة هى ادنى الكمال ، فى احـــوال الاخـــاء ، وما قبلها

أسباب تعود عليها ، فان اقترن بها المعاضدة .. فهى الصداقة ، ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة ، وهى المحبة ، وسببها : الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس ، حدثت رتبة سابعة ، وهى الاعظام . وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة ، وهى العشق ، وسببه : الطمع وقد قال المأمون رحمه الله تعالى . أول العشق مزاح وولع ثم يزداد اذا زاد الطمع كل من يهوى وان عالت به . رتبة الملك لمن يهوى تبع وهذه الرتبة آخر الرتب المعدودة . وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ، ولا حالة محدودة ، لأنها قد تؤدى الى ممازجة النفوس ، وان تميزت ذواتها . وتفضى الى مخالطة الأرواح ، وان تفارقت أجسادها .. وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ، ولا الوقوف عند نهايتها .. وقد قال الكندى : الصديق الانسان هو انت الا انه غيرك .

ومثل هذا المروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، حين اقطع طلحة بن عبيد الله أرضا ، وكتب له بها كتابا ، وأشهد فيه ناسا ، منهم عمربن‌الخطاب رضى الله عنه فأتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه ، فامتنع عليه عمر .. فرجع طلحة مغضبا الى أبى بكر رضى الله عنه ، وقال : والله ما أدرى انت الخليفة ام عمر ؟ فقال : بل عمر لكنه أنا(١) .

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ١٤٢ .

وأما المؤاخاة المكتسبة بالقصد .. فلابد لها من وجهين : رغبة ، وفاقة .. فأما الرغبة : فهى أن يظهر من الانسان فضائل تبعث على أخائه ، ويتوسم بجميل يدعو الى اصطفائه .. وأما الفاقة : فهى أن يفتقر الانسان لوحشة انفراده ، ومهانة وحدته ، الى اصطفاء من يأنس بمؤاخاته ، ويثق بنصرته وموالاته(١) .

وأعز ما تملكه الجماعات .. الاخاء فهو الرصيد الثابت . والقاعدة الصلبة والمرتكز الصاعد .

والأخوة فى الاسلام ، قاعدة الحياة ولا حياة بدون أخاء ، واخوان .. والأخوة فى الاسلام فوق كل الحواجز الجنسية ، والعرقية ، والقومية ، والحزبية والسياسية .. وهى فى الاسلام تقوم على أصول أصلية ، وقواعد متينة .

من ذلك وحد الأصل الانسانى فالناس جميعا على اختلاف اجناسهم ، وتمايز الوانهم ، وتباعد أقطارهم .. يرجعون الى اب واحد ، واصل واحد ولطالما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها فى أساليب شتى ، وآيات متعددة لكى تكون دائما موضع الاعتبار ، والرعاية .

---

(١) المصدر نفسه « بتصرف » ص ١٤٣ .

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ (١)

فهذه الآية العظيمة — كما ترى — تقرر أصـــلا من أصول الاسلام ، وهو المساواة بين الناس .. ولقد قررت هذه الآية ، مبدأ ضـــخما من المبادىء الانسانية السامية .. فهى من معجزات هذا القرآن العظيم الـــذى انزله الله ضـــياء للناس ونورا ، يهتدون به وبرهانا ساطعا ينير السبل أمامهم .

وكان العالم قبل انبثاق نور الاســـلام . يموج فى الظلم . ويضطرب فى الفساد وتسوده الهمجية ، والعصـــبية الجاهلية ، وتخيم عليه ضلالات العصور القديمة ، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد ، وتفاخر الناس بالأنساب ، وعاشوا تحت ظل نظـــام الطبقات .

فى هـــذه الظلمة الداكنة ، ينبثق فجـــر الاســـلام ، فتبدد انواره ، تلك الغيوم السوداء .. وتتنزل هـــذه الآية الكريمة ، لتقرر

---

(١) سورة الحجرات . الآية رقم ١٣ .

مبدأ انسانيا عظيما .. وهو اعـــلان المســـاواة بين البشر ، كل البشر(١) .

ويهتم القرآن الكريم بالانسانية والبشرية ، اهتماما يفوق حد الوصف . وهـــذه كلمة (الناس) يتـــكرر استعمالها فى أساليب القرآن الكريم نحوا من مائة واربعين مرة كثير منها جاء للبشر عموما، وكثير منها ورد دالا على الجنس البشرى .

وهذه أيضا كلمة « الانســـان » تســـتعمل فى آيات القرآن الكريم ، فى أكثر من ثمانين موضعا .. فى أساليب متنوعة ، عائدة بالمفكر والعاقل ، الى أصل الانسان ، ولا شـــك أن ـــ استعمال « الناس » و « الانسان » بهذا الاهتمام يخلق فى المسلم انسانية تعجز عن الوصـــول اليهـــا أساليب رجال التربية الحديثة ، أمثال : جان جاك روسو وهربارت سبنسر ، وجون ديوى ، ووليم جيمز .. وغيرهم من فلاسفة التربية ، حتى كلمـــة البشر الدالة على الجنس الانسانى الواحـــد ، تســـتعمل فى القرآن الكريم ، فى أكثر من خمس وثلاثين آية . وهـــكذا يهتم القرآن الكريم ، بكل ما من شأنه أن يوقظ فى الناس أحاسيس الانسانية ، ويربى الخلق الانسانى .. والاسلام جاء ليقيم بين البشر جميعا بالله خالق الأرض والسموات .

« وفى انشاء جميع البشر من نفس واحـــدة ، آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته .. وفى التذكير بذلك ايماء

---

(١) نظرات فى سورة الحجرات للشيخ الصواف ص ١٤٧ ط السعودية.

الى ما يجب من شـــكر نعمته وارشـــاد الى ما يجب من التعاون والتعارف بين البشر ، وأن يكون هـــذا التفرق الى شعوب وقبائل مدعاة الى التأليف . لا الى التعادى والتقـــاتل وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس(١) » .

وعن أبى مالك الأشعرى قال : قال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم : (ان الله لا ينظر الى احسابكم ولا الى أنسابكم ، ولا الى اجسامكم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانمـــا أنتم بنو آدم وأحبكم اليه أتقاكم(٢)) .

والمسلمون هم أحق الناس بالحفاظ على الاخـــوة ، وأجدر الناس باتباع هـــدى القرآن وتعاليم الرســـول صـــلى الله عليه وسلم.. ومن الأصول الأصيلة .. للاخوة فى الاسلام وحدة العقيدة.

ووحدة العقيدة من أهم الركائز لوحدة المســـلمين ، وتكامل اخوتهم . وعقيدة المسلمين واحدة ، لا تختلف باختلاف جنس من الأجناس ، أو لون من الألوان ، أو مصر من الأمصار أو جيل من الأجيال ، أو زمن من الأزمان . هذه العقيدة قائمة وتقـــوم على الايمان بالله ، وبرسول الله وبكل ما فى القرآن .. وأن الاسلام هو الاســـلام .. والقرآن هو القرآن .. ومن آيات العقيدة فى القرآن .. قـــول الله تعالى :

---

(١) تفسير القرآن للشيخ المراغى الجزء السابع ص ٢٠١ .
(٢) التاج الجامع للاصول . الجزء الأول ص ٦١ .

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (١)

قال الامام ابن كثير : اشتملت هـذه الآية على جمل عظيمة وقواعد عميمة وعقيدة مسـتقيمة والآية كما نرى مشـتملة على خمس عشرة خصلة .. وترجع الى ثلاثة اقسام : فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكمالات الانسـانية التى هى من قبيل صحة الاعتقاد وآخرها قوله : « والنبيين » وافتتحها بالايمان بالله واليوم الآخر .. لأنهما اشارة الى المبدأ والمعاد .

---

(١) سورة البقرة . الآية رقم ١٧٧ .

والستة التى بعدها .. تتعلق بالكمالات النفسية التى هى من قبيل حسن معاشرة العباد . وأولها (وآتى المـال) وآخرها (وفى الرقاب) .

والأربعة الأخيرة ، تتعلق بالكمالات الانسانية التى هى من قبيل تهذيب النفس وأولها (وأقام الصلاة) وآخرها (وحين البأس) ولعمرى من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمـان ، ونال أقصى مراتب الايقان(١) .

وعقيدة الاسـلام .. واحـدة لـدى كل المسلمين فى شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها . تجتمع عليها قلوبهم ، وتحفظها عقولهم ، وتستيقنها نفوسهم ، ووحـدة العقيدة .. جددت بين المسلمين ما مضى من قرابة الـدم القائمة بينهم .

واذا كانت أبـوة آدم عليه السـلام ، أبوة مادية ، تجمع بين الأمة الاسـلامية ، وتوحد بينهـا فى الأصـل .. فان العقيدة الاسلامية هى أبوة روحية ، ترجع اليها فروع المؤمنين والحق أن المؤمن حينما يستشعر جـلال هـذا الأصل الروحى ، الـذى يجمعه واخوانه المؤمنين فى مشـارق الأرض ومغاربها الى جانب الأصل المـادى الـذى يرجعه معهم الى أبـوة واحدة . فانه حينئذ يشعر أنه انما يحيا باخوانه ويحيا لهم ويحس كأنه غصن من أغصان شجرة عظيمة يحيا بحياتها ويموت بموتها(٢) .

---

(١) تفسير القرآن للالوسى . الجزء الأول ص ٣٥٩ .
(٢) المسلمون أمة واحدة ص ١٣ وزارة الأوقاف .

وان رابطة العقيدة فى الاســـلام — وهى رابطة فى المبادىء المثل العليا ، والقيم الرفيعة — من أقوى عوامل التقدم والازدهار. وتلك التعاليم هى اعلى واقـــوى من رابطة الـــدم ، والنسب ، والمساكنة ، فى الوطن والمشاركة فى القومية .. وهـــذا الأساس هو المنطلق الوحيد ، للخروج من قوقعة الأنانيات الفردية والقبلية والقومية .. الى صـــعيد اللقاء الانسانى ، على أساس المبادىء. مبادىء الحق ، والعـــدل والخير .. وفى هـــذا الاطار التربوى النفسى ذاته ، عالج الاســـلام النفس الانسانية اعدادا لها لتحقيق التعارف والتعاون .. فعالج آفاتها وأمراضها الحائلة دون التعاون كالحقد والحسد والغل ، التى تثيرها دوافع النقمة للذات الفردية أو القبلية أو القومية(١) ؟

والأصل الثالث ، فى أصول الاخوة الاسلامية .. وحدة مصدر التشريع .. ومصـــدر التشريع واحـــد لـــدى المسلمين .. وهو القرآن الكريم . كتاب الله ، الذى أنزله ليكون دستور الخالق فى اصلاح الخلق .. ينظم الحياة ، ويعالج النفوس ، ويقوم أعوجاج المجتمع ، قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

(١) استراتيجية العالم الاسلامى ص ٩٥ مكة المكرمة .

ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) ﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان ٤٨ ، ٤٩

(٢) سورة البقرة ، الآيات ٢ — ٥ .

وقال تعالى :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

وان الله عز وجل ذكر للنور ثلاث فوائد :

الأول : انه يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . أى من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالايمان بهذا النور ، يهديه الطريق التى يسلم بها فى الدنيا والآخرة ، من كل ما يرديه ويشقيه فيقوم فى الدنيا بحقوق الله تعالى وحقـوق نفسـه الروحية والجسدية وحقوق الناس ، فيـكون متمتعا بالطيبـات مجتنبا للخبائث ، نقيا مخلصا ، صالحا مصلحا .. ويكون فى الآخرة ، سعيدا ، منعما ، جامعا ، بين النعيم الحسى الجسدى ، والنعيم الروحى العقلى .

الثانية : الاخراج من ظلمـات الجهل والوثنية ، الى نـور التوحيد الخالص .. حيث يصبح الانسان حرا كريما بين الخلق ، عبدا خاضعا بين يـدى الخالق وحده .

---

(١) سورة المائدة . الآية رقم ١٦ .

الثالثة : الهداية الى الصراط المستقيم ، وهو الطريق الموصل الى المقصد والغاية من الدين ، فى أقرب وقت ، لأنه طريق لا عوج فيه ، ولا انحراف ،فيبطىء سالكه او يضل فى سيره .. وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح الذى أنزله الله تعالى لأجله . بأن تكون عقائده ، وآدابه ، وأحكامه ، مؤثرة فى تزكية النفس ، واصلاح القلوب ، واحسان الأعمال .. وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة بحسب سنن الله فى خلق الانسان(1) .

والقرآن الكريم هو وحده القادر على تحديد علاقة الانسان بالوجود كله والقرآن الكريم .. هو وحده القادر على أن يرسم للمجتمع الاسلامى .. الخطوط السليمة ويضع له الحوافظ التى تحفظ الانسانية ، من التردى والهلاك .

والقرآن الكريم هو وحده الذى توجد فيه الحلول المنطقية المقبولة لكل ما وراء الحواس .. وهو وحده الذى تجد فيه الحلول العملية لكل الجوانب وبهذا كان القرآن الكريم .. غنيا بكل جوانب الحياة ، الروحية ، والعقلية ، والجسمية .

والقرآن الكريم هو وحده القادر على اذكاء روح الاخوة الاسلامية وتدعيم المحبة بين المسلمين .

ومادام القرآن الكريم يعمل على وحدة الصف الاسلامى .. فلا غرور أن يأمر الله المسلمين ان دب بينهم نزاع بأن يرجعوا الى كتاب الله تعالى :

---

(1) تفسير المنار . الجزء السادس ص ٣٠٥ .

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (١)

فالرجوع عند التنازع فى أى أمر الى كتاب الله ، وسنة رسول الله شرط فى الايمان . وذلك خير محض لا شر فيه أبدا .

ومن العجيب ان نشاهد تنازعا واختلافا بين الاخوة المسلمين يؤدي الى تحرك أجهزة الاعــلام كلها ، لتلقى الشتائم والسباب ، والتهم .. وان هــذا الأمر محزن ومؤلم ولا يصــح أن يكون بين المسلمين .. ولا شك ان المذاهب الهدامة والأحزاب البغيضة لها اثر فعال فى توسيع هوة الخلاف والاختلاف .

والمسلمون اخوة بنص القرآن الكريم . قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ٥٩ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية رقم ١٠ .

اخوة فى الدين والحرمة لا فى النسب(١) .

ولهذا قيل : اخوة الدين اثبت من اخوة النسب ، فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة النسب . واخوة الدين أحق وأجدر أن يهتم لها ، ويصلح ما بين المؤمنين . لأنها اخوة بنص كتاب الله تعالى . والله سبحانه وتعالى هو الذى عقد هـــذه الاخوة وما عقده الله تبارك وتعالى لا تحله يد بشر ، مهما قويت ، وسطت ، وظلمت .

ومن عجيب امر هـــذه الآية الكريمة . انها جاءت وكأنها قررت أمرا واقعا مفروغا منه ، لا يرد ولا يصـــد . فقالت : « انما المؤمنون اخوة » هذا حكم الله ، وهكذا اخبر عن هـــذا العقد الذى ربطه فى السماء بين المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت لغاتهم ، وتباعدت أقطارهم وتناءت ديارهم فهم اخوة ، تجمعهم عقيدة خالدة، وربسالة واحـــدة . وهكذا جاءت الجملة خبرية ، تقرر واقعـــا عظيما وتخبـــر عنه . فقالت : « انمـــا المؤمنون اخوة » ولم تأت الجملة انشـــائية اذ لو جاءت الآية انشائية ، لكانت الاخوة غير موجودة . ولكنه عز وجل ربط قلوب المؤمنين برباط واحـــد ، وعقد هذا الرباط ثم أخبر عن هـــذه الحقيقة الثابتة الواقعة ، وقضى فيها بحكمه فقال : « انما المؤمنون اخوة » ثم ثنى بتقرير هـــذه الحقيقة رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم حين قال : (المسلم اخو المسلم احب او كره) .. كما قال عليه الصـــلاة والسلام :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن . للقرطبى ج ١٦ ص ١٥٢٢ .

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان ، فيستر عنه الريح الا باذنه ، ولا يؤذيه بقتار قدره) .

وفى سنن أبى داود ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صـــلى الله عليه وسلم قال : (المؤمن مرآة المؤمن . المؤمن أخو المؤمن ، يكف عنه ضيقه ويحوطه من ورائه) وهـــكذا فهم الصحابة الكرام هـــذه الاخوة ، وعاشوا فيهـــا ولها ، وأصبحوا بفضل الله تعالى اخوانا .. دعوتهم واحـــدة ، وأمرهم واحد .. تقاسموا الحب فيما بينهم وآثروا اخوانهم على أنفسهم . فقاسموهم الأموال ، ووصـــلوا الى درجـــة من الايثار ، ان يقول الصاحب لصاحبه . هذا مالى جعلته بينى وبينك . وهاتان زوجتاى اختر ايتهما تشاء لتتزوجها أنت(1) .

والاخوة فى الاسلام . اسلوب تربوى وسلوك عملى . يسمو بالمسلمين ، ويصـــل بهم الى ذروة مراقى الفلاح والنصر .

وآثار الاخوة تبدو واضحة فى التعاون الذى قام بين المسلمين، فجعل منهم أمة واحدة .. تخوض المعـــارك بايمانها بالله وبنصر الله .وسوف يبقى المسلمون فىاشد الحاجة الى الاخوة الاسلامية، لانها السياج الذى يبقى المجتمع من التعثر والتبعثر .

---

(1) نظرات فى سورة الحجرات ص ١٠٧ للشيخ الصواف ط السعودية.

والأمة الاسلامية تحتاج الى الروابط المتكاملة فى الاخاء الاسلامى . الذى لا يعرف ولا يعترف بالحزبية ، ولا بالعصبية ، ولا بالقومية ، ولا بالاقليمية ، ولا بالمذاهب الفكرية .

وقد أتم الله للمسلمين .. وحدة الأصل .. ووحدة العقيدة .. ووحدة المصدر ووحدة الشعور .. ووحدة الصف .. ووحدة العادات .. ووحدة العبادات..وكانت آثار ذلك واضحة، سواء فى معارك بدر ، والقادسية ، واليرموك وحطين وعين جالوت ، والعاشر من رمضان . وغير ذلك من معارك المسلمين التى خاضوها فى سبيل الله .

وسواء فى الحب فى الله ، والتعاون المثمر ، والتكامل ، والمساواة ، والعدل والشورى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ومن منطلق الاخوة الاسلامية . كانت أمتنا ومازالت تملك رصيدا ضخما ، يمكن استثماره ، لتحقيق الاخاء الاسلامى العظيم والذى يجعلنا نحس باخواننا المسلمين فى كل مكان .

والذى يجعلنا أيضا نعتز بالانتماء الاسلامى ، ونرفض كل ما عدا الاسلام من الماركسية والتقدمية . وغيرهما من الأسماء التى أبدعها القاموس الشيوعى الالحادى .

وسوف نحقق ما نأمله فى ظلال الاسلام .. وقوتنا رهينة بتمسكنا بالاسلام .. وقد اثبت التاريخ والتجربة ان الاسلام خير ما عرفته الانسانية .

المسلمون والتضامن

ان الأمة الاسلامية تقوم الروابط فيها ، على وحدة الدين ، ووحدة العقيدة ووحدة المبادىء الخلقيــة ، ووحدة العبــادات والتلاقى فى التقاليد والعادات .

وكل يوم من الأيام يمر يشعر المسلم فيه بالوحدة الاسلامية وذلك من خلال أداء العبادات والفرائض التى فرضها الله سبحانه وتعــالى .

فالصلوات الخمس ، تعطى الأدب الوحدوى ، الذى يصون ويحفظ ، اذ يؤديها المسلمون جميعا الى قبلة واحدة .

فاذا تصور الانسان عند أداء الصلاة ، انه واحد من الوف الالوف يتوجهون الى مثل اتجاهه ، ويولون وجوههم شــطر بيت الله الحرام . علم اين تكون مثابته وأين تكون جماعته .

لاشك انه عندما يتوفر لديه هذا الاحساس ، يدرك انه لبنة فى مجتمع كبير يضم أقطارا من الشرق والغرب ، ويدرك أيضــا انه عضو من أعضاء هذا المجتمع الواسع العريض ، وانه مسئول فيه مسئولية كاملة .

وهذا الاتجاه الذى يدعو الى الاتحاد نجده فى شهادة « أن لا اله الا الله وأن محمــدا رسول الله » .

ونجده أيضا فى فريضة الحج أوضح اشراقا وأعظم نورا . وأكثر بناء وتدعيما . والاسلام الحنيف بدعوته الى الوحدة والتضامن، قضى على الفرقة والشقاق ، والقرآن الكريم يؤكد أن المسلمين جميعا ، تتكافأ حقوقهم والتزاماتهم وتكاليفهم ودماؤهم وجعل منهم وحدة كاملة متناسقة متجانسة .

فيوجه الخطاب الى جماعة المسلمين ، فى كافة التكاليف الايجابية والسلبية فان خاطب القرآن الكريم « الناس » فى أمر من الأمور العامة ، قصد الانسانية كلها وخص جماعة المؤمنين .

وان خاطب ((**الذين آمنوا**)) فانه يعنى المسلمين فى ثوب وحدتهم الجامعة لا ينظر الى جنس ، ولا الى لون .

وان تحدث عن نسبة المسلمين الى غيرهم من الأمم ، قال ((**كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله**))(١) فبنى القرآن الكريم هذه النسبة ، على الايمان بالله ومقتضياته ، لا على عنصرية من جنس أو دم .

وعلى هذا الأساس ، جاء خطاب القرآن الكريم ، للأمة فى جميع التكاليف سواء منها ما هو فردى يطلب اداؤه من كل فرد من الأمة، اذا توفرت فيه شروطه ((**واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**))(٢) ، ((**اوفوا بالعقود**))(٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١١٠ .
(٢) سورة البقرة الآية رقم ٨٣ .
(٣) سورة المائدة الآية رقم ١ .

وما كان جماعيا ، يطلب من الأمة باعتبارها « شخصية معنوية مسئولة » أن تحققه وتعمل على تركيزه ، كتنفيذ الأحكام الشرعية وتوخى العدل فى الحكم ، والاشراف على الحاكمين وتوجيههم ، والقيام بالمحافظة على الدين والأخلاق وكيان الأمة وحماية العقيدة ، قال الله سبحانه وتعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »(١) .

وقال تعالى :

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم »(٢) .

وقال تعالى :

« اعدلوا هو أقرب للتقوى »(٣) .

وقال تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى »(٤) .

وقال تعالى :

« وجاهدوا فى الله حق جهاده »(٥) .

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٥٨ .
(٢) سورة النحل الآية رقم ٩١ .
(٣) سورة المائدة الآية رقم ٨ .
(٤) سورة المائدة الآية رقم ٢ .
(٥) سورة الحج الآية رقم ٧٨ .

وغير ذلك من الأوامر ، التى كلفت بها مجموعة المسلمين « الأمة الاسلامية » ولاشك ان القرآن الكريم يعنى من كلمة «أمة» هذا المعنى الجامع لكل من دخل فى الاسلام أو وصف به ولا يعنى مطلق جماعة من المسلمين من غير قصد العموم والشمول .

قال تعــــالى :

« ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »(١) .

والمفهوم من هذا من غير التواء ، ان المسلمين امة واحدة كما أن ربهم واحد .

ووصف أمة « بواحدة » يؤكد لنا ان وحدة هذه الأمة قوية متماسكة لها شخصيتها العامة .

ومقصد القرآن الكريم ، من الأمة هو الأمة الاسلامية على عمومهــا .

الامة المكلفة بتنفيذ أحكام الله ، واقامة الحدود ، وتحقيق العدالة بين جميع الأفــــراد .

الأمة المسئولة عن صالحها العام بوصفها أمة ، ومسئولة عن كيانها وكرامتها وأرضها .

قال الله تعالى :

« قل انمـــا يوحى الى انمـــا الهكـــم اله واحـــد فهل انتم مسلمون »(٢) .

---

(١) سورة الانبياء الآية رقم ٩٢ .
(٢) سورة الانبياء . الآية رقم ١٠٨ .

آية كريمة ، فى كتاب كريم ، أرسلها مرسل كريم ، على مرسل كريم ، وما هى الا رمز واشعار ، واعلام واعلان ، بالفكرة الأولية التى هى حجر الأساس لبناء هذا المبدأ ، وقاعدة البناء للاشادة بتركيز ذلك الركن القويم « الوحدة والاتحاد » بكل ما تحمل الكلمتان من معنى .

ومنذ بذرت بذرة الاسلام ، والرسول يردد فى الانحاء والأرجاء الدعاء والدعوة « للوحدة » .

فالاسلام دين الوحدة فى العقيدة والاتجاه .

دين الوحدة فى الفكر والعمل .

دين الوحدة فى العقيدة لأنه ما جاء الا بدعوة الاعتقاد بأن خالق الكون ومدبره ، والمهيمن على الكائنات ، والمسيطر على الموجودات « اله واحد » هو الفاعل الكامل والمتصرف القدير .

« قل هو الله أحد الله الصمد »(1) .

وكل من له لمحة من ثقافة ، يعلم ما لهذه العقيدة من بليغ الأثر فى النفس ومجتمع الحياة ، وحياة المجتمع .

فما عقيدة التوحيد ، الا راس كل ملكة فاضلة ، وروح كل فضيلة نفسية سامية وأساس كل عمل فاضل .

---

(1) سورة الاخلاص . الآيتان ١ ، ٢ .

تطبع معتنقيها على الوحدة والاتحاد ، فى الفكرة والعقيدة .
والاسلام الحنيف ما أراد فى رسالته ، الا الوحدة فى كل شىء .

الوحـــدة فى التضامن والتعاون .

والوحدة فى الواجبات والحقوق .

فالمسلمون جميعا فى نظــر الاسلام سواء **(لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى)** .

ويقول سبحانه وتعالى :
((ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير))(1) .

وقال تعالى : **((انما المؤمنون اخوة))**(2) .

وقال تعالى : **((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم))**(3) .
ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام :

(ولا الفينكم بعدى مرتدين على أعقابكم يضرب بعضـــكم رقاب بعض) وما للأمة الاسلامية والخلاف والاختلاف ، ودينهـــا واحد ، ونبيها واحد ، وكتابها واحد وقبلتها واحدة .

وهى أمة واحـــدة فى العـــادات والعبـــادات والمعاملات ، وما استقامت أمة على سنن الرشـاد ، ولا تم لها نظام ، ولا بلغت ما تريد من المجد والعز ، الا بالوحدة .

---

(1) سورة الحجرات . الآية رقم ١٣ .
(2) سورة الحجرات . الآية رقم ١٠ .
(3) سورة الأنفال . الآية رقم ٤٦ .

وما عزت أمة وهابها الأعداء ، ولا قام فيها عدل ، وجرت أمورها على الطريق المستقيم ، الا بالوحدة .

وأعظم الأمم قوة وأكثرها منعة هى الأمة التى استحالت كلها الى أفراد متجانسين فى اللغة والدين والعقيدة والغاية .

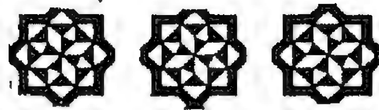
وخليق بنا ونحن نبنى أمة الوحدة ، أن نعمل جميعا على بنائها وتدعيمها ، بالصدق والعدل ، والاخاء والاخلاص ، والحب ، ونكران الذات والتضحية والفداء ، والبطولة والاستبسال .

قال الشاعر العربى :

كونوا جميعا يا بنى اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا

تابى العصى اذا اجتمعن تكسرا واذا افترقن تكسرت افرادا

ان الوحدة الاسلامية استطاعت أن تهز عروش الأكاسرة والقياصرة ، وتدك معاقل الكفر ، وبها انتصر المسلمون فى معاركهم التى خاضوا غمارها ، ودخلوا معمعتها وبها كان النصر حليفهم فى القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت وبها سننتصر على أعدائنا ونبلغ ذروة ما قدر لنا من فلاح .



المسلمون وخصائصهم

ان العالم الاسلامى يربض على الثروات المعـــدنية الهائلة ويتربع على الكنوز الثمينة ، ويملك من الحقول البترولية ، أجداها نفعا ، وأكثرها ثراء وعطاء ، وأقواها تدفقـــا ودفعـــا . ويتبوأ استراتيجية هامة ، ويشغل من خريطة الدنيا ، حيزا جغرافيـــا عظيمـــا .

فالاطار الخارجى الأقصى للعالم الاسلامى يصل شمالا حتى اعالى الفولجا غير بعيد عن دائرة العرض ٦٠ درجة شـــمالا ، ويترامى جنوبا حتى نهاية افريقيا عند الرأس على خط عرض ٣٥ درجة جنوبا .

أما شرقا بغرب فنحن مع الاسلام ، من خط طول ١٢٠ درجة، شرقا حيث الفلبين الى حوالى ٢٠ درجـــة غربا ، عنـــد الرأس الأخضر ، فهذه شقة تبلغ ٩٥ درجة بالطول ، ونحو ١٤٠ درجة بالعرض أى حوالى ربع وثلث محيط الأرض على الترتيب ، أو ما يعادل نصف دورة من دورة الليل والنهار ونصف دورة من دورة فصول السنة على التوالى .

ومحيط العالم المسلم يتحدد أساسا بنصف الكرة الشمالى أولا ، وبنصف الكرة القديم ثانيا ، فالاسلام جنوب خط الاستواء

أطراف أو أصابع ثانوية وهو فى العالم الجديد شظايا سديمية متطايرة .

ويمكن أن نعبر عن هذا الامتداد النادر بأكثر من طريقة فنقول : ان الاسلام يمتد فى قوس محدد من بكين الى كازان الى بلغراد فى الشمال ، أو فى قاطع من فرغانه الى غانا — كما كان يقول مؤرخو الاسلام — أو فى قاطع آخر من جبل طارق الأطلسى الى سنغافورة جبل طارق الهادى ، أو من مالاجا بالأندلس الى ملقا بالملايو ، الى قبائل المورو بالفلبين كذلك يمكن أن تحدد قاعدة العالم الاسلامى فى الجنوب بمحور يمتد من قبائل التاجال بالفلبين ، أو من غينيا الى غينيا الجديدة اما بالطول فدونك من الفولجا والدانوب حتى الزمبيزى والليمبوبو . .

وتلك أبعاد لا تقل بحال عن نصف مساحة العالم القديم .

فالاسلام دين عالمى أو كوكبى — بلا مراء — رغم ما يدعيه البعض من أنه دين جزئى أو اقليمى أحيانا ، أو من أنه دين (افريقاسى) أحيانا أخرى . اذ يوشك الا تكون هناك دولة فى عالم اليوم . لا يتمثل الاسلام فيها ولو ببضع عشرات من الآلاف كما فى استراليا وغرب أوروبا مثلا .

وبالعالم الاسلامى قابليات بشرية فائقة ، والمسلمون يمثلون تقريبا ٢٠٪ من مجموع سكان هذا الكوكب . الذى يبلغ اليوم قرابة ٤٤٠٠ مليون نسمة .

وبعبارة أقرب واوجز ، يمكن أن نقول : ان واحدا من كل ستة أشخاص يدين بالاسلام ، ومناطق العالم الاسلامى تعد — عند الباحثين والدارسين — من أقاليم النمو السكانى السريع .

فالعالم الاسلامى يشمل منطقـــة جغرافية تمتـــد من المحيط الباسفيكى شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، مجتازة جاليات ودولا اسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ، ومنطقة العالم الاسلامى تتميز بأنها :

* تقع من العالم موقع الحزام من جسم الانسان ، بعيدة عن القطبين ، وســـالمة من الأعاصـــير والطـــوفانات والثلوج والبراكين ، ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية، وتناسل الحيوانات البرية .

* وانها تمتلك من شواطىء البحـــار الكبيرة والصغيرة ، ما يمكنها من الاشراف على عـــدد كبير من أعظم موانىء العالم ، كما بها من الانهار والمنابع ما يجعلها من أخصب المناطق ، واكثرها ازدهارا ونماء .

* وان فيها من موارد الحضـــارة كالماء والنفط والمعادن ، والحاصلات الحيوانية والزراعية ، ما يمكنها من اغناء الحضارة الانسانية ، وزيادة الأمن والرخاء .

* وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الى اسمى ما قدر، من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

* وان التجانس المذهبى بين سكان العالم الاسلامى يجعل المنطقة فى منأى عن الانشقاق الملحوظ فى المذاهب الأخرى ، ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وتفتحا وتقدما .

وتلك أمور تجعل العالم المسلم قوة ايجابية مرهوبة الجانب، مخطوبة الود ، يتهيب العدو بأسها ، ويخشى سلطانها ، وتجعله أيضا مهيأ للاسهام فى بناء الحضارة الانسانية ، واعادة صنع الحياة ، وانقاذ البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضوية والاباحية والاستعمار والالحاد .

واذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع ، ومالهما من خصائص ومميزات ، وما بهما من كنوز وميزات ، ومن الحديث عن خصائص العالم الاسلامى التى بز بها غيره الى الحديث عن الاسلام نفسه : فاننا نجد انه دين العقيدة الحية الصحيحة التى جاءت وقت بلوغ العقل البشرى طور رشده وكماله وتفتقه .

العقيدة التى تقر التوحيد الخالص ، والتنزيه البالغ ارقى صوره وأشكاله . عقيدة ترفع من قيمة الانسان لأنها تصله بالله الواحد الذى لا شريك له فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى افعاله **« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »**(١) .

---

(١) سورة الاخلاص .

ولا تبيح تلك العقيدة الاسلامية للانسان أن يتعلق بالمخلوقات أو يدعو ويعبد غير الخالق الذى أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس أو يعترف بوجوده فى هذا الكون الفسيح « **اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله** » والاسلام من جهة أخرى دين اجتماعى راعى حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية فى حدود الحق والفضيلة والشرف ، وباعتبار هاتين الحقيقتين — التوحيد الخالص والاجتماعية — أمكن للاسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الأخلاقية العليا وان يرضى مطالب الروح والجسد ، حتى ترافقا فى اعتدال ، وكونا حقيقة الانسان المهذب والمؤمن الكامل.

وبالجمع بين السمو الروحى والتهذيب الاجتماعى أمكن للاسلام أن ينتشر فى أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المبادىء .

والاسلام وليد العقيدة الرائقة التى تطهر النفس ، وتزكى القلب ، وتربى الخلق ، وتغذى العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها، وتعطى كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتى وسيره الطبيعى.

والعقيدة الاسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها : انها تبعث فى روح المؤمن بها الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار ، وشعور الاطمئنان فى غير تواكل .

والعقيدة الاسلامية قوة لا تدانيها قوة فى شد الأعصاب وشحن الدماء بالتضحية والفداء ونكران الذات . وأثر الايمان بالعقيدة السليمة يبرز بوضوح فى الدعوات التى غيرت وجه التاريخ.

لذا يعمد أصحاب الدعوات الى اختيار العناصر المشبعة بروح العقيدة ، ويصرفون نظرهم عن الكثرة فهم لا يريدون (الكم) بل يريدون (الكيف) .

ذلك أن العقيدة هى الروح التى تحرك الجسد وتبعث فيه الحياة . والرعيل الأول من المسلمين ، كانوا أساتذة الدنيا ، بقوة عقيدتهم وايمانهم بربهم . وقد لاقوا آلاما شديدة لو صبت على غيرهم لتغير موقفهم ، ولكن الايمان بالعقيدة ، حين يخالط قلب المسلم ، يحيله الى انسان فوق العادة .

فبلال الحبشى ، وعمار بن ياسر ، ومصعب بن عمير ، وصهيب الرومى ضربوا الرقم القياسى فى صلابة العقيدة وصدق النية ، وقوة الايمان . وهم الذين لم يدرسوا كتب الفلسفة ولم يقرأوا علوم اليونان والرومان . ولكنهم درسوا القرآن الكريم وتتلمذوا فى مدرسة محمد بن عبد الله رسول الله الى الناس كافة .

وعمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، والمقداد بن الأسود ، وطارق بن زياد وموسى بن نصير ، قادوا الدنيا وفتحوا البلاد ، وهم الذين لم يدرسوا فى الكليات الحربية ولم يقرأوا علوم اليونان والرومان الحربية ، ولكنهم درسوا القرآن العظيم ، وتتلمذوا فى مدرسة محمد رسول الله .

فالايمان بالعقيدة هو الجذوة المتقدة والقوة المبدعة ، التى تكون النفوس وتشحنها بأنبل القيم واسماها ، وتبنيها على الحق والأباء والعزة والكرامة .

والاسلام : دين ومجتمع حضارة :

دين : لأنه عقيدة توحيد وتنزيه لله ــ سبحانه وتعالى ــ تعتقدها القلوب وتدين بها ، وتنطق بها الألسنة فى كل صلاة وذكر، وتتزكى بها النفوس فتتجلى عنها كل شدة وبؤس .

ومجتمع : لأنه ليس طائفيا ولا عنصريا ، ولا متعصبا ولا جاهلا ، ولا جامدا ولا خامدا ، ولا يتوخى استعباد جنس لجنس ولا قوم لقوم ، ولا طائفة لطائفة « **انما المؤمنون اخوة** »(١) . « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن** »(٢) .

والفرد فى المجتمع الاسلامى ، جزء من كل يكمله ويكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمى به ، وليس فى الاسلام انفصال بين مسئولية الفرد نحو المجتمع ومسئولية المجتمع نحو الفرد ، لأن هاتين المسئوليتين هما أولى وسائل الاسلام فى الاصلاح العام والاسلام من ناحية أخرى اعترف بالقيمة الذاتية للأفراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله ومسئولين أمامه عن أعمالهم « **كل نفس بما كسبت رهينة** »(٣) . « **لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت** »(٤) . «**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم**»(٥) . «**ولاتزر وازرة وزرأخرى**»(٦)

---

(١) سورة الحجرات . الآية رقم ١٠ .
(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ١١ .
(٣) سورة المدثر . الآية رقم ٣٨ .
(٤) سورة البقرة . الآية رقم ٢٨٦ .
(٥) سورة التوبة . الآية رقم ١٠٥ .
(٦) سورة الأنعام . الآية رقم ١٦٤ .

والاسلام الحنيف حينما جعل الفرد مسئولا أمام الله عن اعماله جعل المسئولية تقع عليه وحده . الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الفرد الذاتية ويصل به الى أعمال الخير والدفع البناء ، وفى الوقت نفسه الفرد لبنة من لبنات المجتمع المسلم وعضو من أعضائه يعمل لصالح الجماعة ، والجماعة تسعى لخير الفرد .

والاسلام لا يعترف بالقهرية التى يدمج بها الفرد فى المجتمع قسرا ورغما عنه كما فى الشيوعية لأن الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغنى عن الفرد ان لم يخدم غرض الدولة أو ان لم يتبع طريقة الحزب دون نقاش .

فالاسلام دين اجتماعى يرقى بالمجتمع الى أسمى ما قدر من سلام ورخاء وتعاون وتكافل وتساند وتوادد « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** »(1) .

قال المستشرق الفرنسى (ماسينيون) : (ان لدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد فى فكرة المساواة ، وذلك بفرض الزكاة التى يدفعها كل فرد لبيت المال . وهو يناهض الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التى تفرض على الحاجات الأولية الضرورية ويقف فى نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجارى.

وللاسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها ، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للاسلام ، من ماض حافل بالنجاح فى جمع

---

(1) سورة التوبة . الآية رقم ٧١ .

كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات .

وقال المؤرخ الانجليزى (توماس كارليل) : (وفى الاسلام صفة اراها أشرف الصفات واعظمها ، وهى المساواة بين الناس ، وهذا يدل على صدق النظر وصواب الرأى والاسلام لم يقنع بالصـــدقة سنة محبوبة ، بل جعلها فرضا على كل مسلم وجعلها قاعدة من قواعد الاسلام .

وقال العلامة (ليودوروس) : (ولقد وجدت فى الاســـلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا .، الأولى قول القرآن ((**انما المؤمنون اخوة**(1))) والثانية فرض الزكاة على كل ذى مال .

تلك أراء كوكبة من الباحثين وكبار المستشرقين ، فيها انصاف واعتراف بقيم الاسلام ، وذلك حينما يكتبون لمرضاة العلم فى ذاته . وحين لا تقتادهم السطحية .

وحضارة : لأنه متصل بشـــئون الحياة والحكم والفـــكر ، والاسلام قادر بطبيعته الذاتية على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التبلور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ، ولا يتعارض مع طبائع الأمم فى حركتها الداخلية الممتدة عبر العصور .

---

(1) سورة الحجرات . الآية رقم ١٠ .

والاسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملة ، ويتدخل فى جميع شئونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى أنه دين يهتم بالجانب الروحى من الانسان ويريد منه أن يتحمل الخلافة فى الأرض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الاسلام بالحرية والاخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها ، وأقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا الى التعاون والتبادل والمودة والألفة .

ويمكن أن نقول بعبارة أوجز : أنه ما من شىء يهم الانسانية، ويشغل بالها ويأخذ قسطا من عنايتها ، الا وله فى الاسلام هدى وبيان واهتمام .

وما من شىء يلامس حياة الناس أو يتعمقها ، الا وله فى الاسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الاسلام بوحدة العقيدة ، ووحدة اللغة العربية، واشتراك المجتمع فى مظاهر العبادات والعادات والتقاليد، زيادة على توحيد الأهداف والغايات من الحياة .

ونخلص من كل ما سبق : الى ان الاسلام دين عالمى . ولهذه العالمية كان الاسلام ومازال ملائما لجميع الأجناس البشرية ، وقد اثبت منذ ظهوره حتى اليوم انه الدين الذى يتلائم مع كل عقل وتفكير ، ويتجاوب مع تطور الزمن .

وان آداب وتعاليم الاسلام كفيلة بأن تجعل العالم الاسلامى فى وضع يسمح له أن ينمى فلسفته الخاصة به ، المتميزة عما عداها،

والتى تنبع من الفكر الاسلامى النير ، وتستمد عناصر وجودها من كتاب الله : القرآن الكريم . وسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام . وذلك دون أن يتبع المجتمع الاســـلامى أى شـــكل من الأشكال التى يعافها الاسلام وتمجها الفطرة الانسانية الصافية .

واذا كان المجتمع الاسلامى ، له من المميزات مالا يتوفر لغيره، وله من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح له أن تكون له فلسفته الخاصة بوجوده . فهل ممكن لحضـــارته أن تعود الى اشراقها من جديد ، فتنقـــذ الانســـانية من هوة الفوضـــوية ، وتقشـــع عنها السحب الداكنة ، والأعاصير المقلقة ، وتزيل الاصفاد ، والقيود المحيطة بكل تقـــدم والمعرقلة للنهوض ، وتعيد للعالم الانسانى . السلام الحقيقى ، والحق والعدل ، والنور والأمن والاطمئنان .

ان تعاليم الاســـلام الغراء صالحة لكل زمان ومكان ، ومافى الاصلاح الاســـلامى من كليات وجزئيات ، كفيل بقيام مجتمع انسانى تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ، ولكن ذلك رهين برجوع المسلمين الى منابع عزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم والأخلاق الاسلامية . والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابضة بالســـمو ، المليئة بالجذوات المتقدة التى لا يخبو ضوؤها . قال الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية والى زعامة العالم السياسية والعلمية كما كانوا من قبل — اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاسلام والعلوم التى حث الاسلام على الأخذ بها » .

وقال العلامة وامبرى : « ان روح نظام المسلمين هو الدين، والذى أحياهم هو الدين ، والذى يكفل سلامتهم فى المستقبل هو الدين ليس الا » .

ويرى الدكتور فيليب حتى « ان الشرق الاســلامى هو اليوم فى مطلع دور جديد فى حياته العلمية ، كما أنه فى فجر طور جديد ، فى حياته السياسية وهو دور يمكن أن نسميه: دور الابداع والابتكار، ضمن اطار الميراث الخالد من القيم الدينية والأدبية . ولنا أن نتكهن أن أبناء الثقافة الاسلامية على اختلاف بيئتهم سيقومون بدورهم فى خدمة المدنية والانسانية ، وبما يجعلهم خلفاء جديرين بالميراث الذى تركه لهم أجدادهم .

والدكتور سميث أستاذ ورئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية « أوهايو » يرى : « انه لو أمكن اثارة التماسك الاسلامى فى سبيل اغراض ايجابية وتكتيل الأمم الاسلامية الكثيرة المختلفة فى وحدة حية لأمكن أن تصير هـــذه الوحـــدة قوة ايجابية فى العالم » .

وكلام أولئك الأفذاذ من ائمة البحث وكوكبة الاستشراق قد يكون انصافا ولمرضاة العلم فى ذاته بعيدا عن السطحية والأغراض التعصبية .

وقد يكون بمثابة التحذير لأقــوام أوروبا الحاقدة على الاسلام والمسلمين . ليعرف الأوربيون أن المسلمين اذا اجتمعت كلمتهم فى ظل العمل بالاســلام . كان ذلك خطرا على الاستعمار والاستعباد والظلم .

وعلى أى حال وسواء كان هذا أو ذاك . فان العالم العربى والاسلامى لا ينهض الا برسالته التى وكلها اليه رسول الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام ، والايمان بها والاستماتة فى سبيلها ، وهى رسالة مشرقة قوية واضحة لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ولا أفضل ، ولا أيمن للبشرية منها .

وهى نفس الرسالة التى حملها المسلمون فى فتوحاتهم الأولى ، والتى بلغوا بها ذروة ما قدر لهم من سؤدد ومجد وسلطان.

كانوا أقوياء فى عقيدتهم بالله وأقوياء فى نفوسهم ، لا يرهبون الردى ولا يخافون من الموت سواء وقعوا عليه أم وقع هو عليهم غير هيابين ولا وجلين :

اذا صنعوا فصنعهم المعالى ... وان قالوا فقولهم الصواب
مرادهم الاله فلا رياء ... ونهجهم اليقين فلا ارتياب
لأمتهم وللأوطان عاشوا ... فليس لهم الى الدنيا طلاب
كمثل الكاس تبصرها دهاقا ... وليس لأجلها صنع الشراب

ويعرب عن كل ذلك الفيلسوف الاسلامى محمد اقبال الشاعر الباكستانى فيقول :

كم زلزل الصخر الأشم فما وهى ... من باسنا عزم ولا ايمان
لو أن آساد العرين تفزعت ... لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكان نيران المدافع فى صدو ... ر المؤمنين الروح والريحان
توحيدك الأعلى جعلنا نقشه ... نورا تضىء بصبحه الأزمان
فغدت صدور المؤمنين مصاحفا ... فى الكون مسطورا بها القرآن

لم نخش طاغوتا يحاربنا ولـــو نصب المنايا حولنـــا أســـوارا

ندعو جهارا لا اله سوى الذى صنع الوجود وقـــدر الأقدارا

ورؤوسنا يا رب فـــوق اكفنا نرجـــو ثوابك مغنما وجـــوارا

كنا جبالا فى الجبـــال وربمـــا سرنا على موج البحـــار بحارا

كنا نقـــدم للسيوف صـــدورنا لم نخش يومـــا غاشما جبارا

ولقد مرت على المسلمين والاسلام زهاء أربعة عشر قرنا من الزمان ، حورب فيها الاسلام وحارب وانتصر ، وشاهد فرقا واحزابا تألفت ضده واندحرت. وجمعيات سرية هدامة عملت جهدها لتشويه الحقائق ، وقد باءت بالفشل ، ودولا عديدة انقضت على بلاده تريد نهب الخيرات والقضاء على القيم العليا ولكنها منيت بالهزيمة.

ولا زال الغرب مدفوعا بدوافع نفسية حاقدة متعصبة حينا ، واخرى استغلالية انانية ، ولقد حاول الغرب تحقيق أغراضـــه الخبيثة بالتوجيه الثقافى والغزو الفكرى مرة والضغط الســـياسى والاقتصادى مرة اخرى ، وبالقوة احيانا ، وما يحدث بالبلاد الاسلامية لدليل واضح على الحقد الذى يسيطر على الغرب تجاه الاسلام والمسلمين « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صـــدورهم اكبـــر » .

فليستيقظ العرب ، ويعيدوا صنع حياتهم على ضوء المفاهيم الصحيحة ، وليجمعوا الصفوف ويوحدوا الأهداف :

وفى التوحيـــد للهمم اتحـــاد ولن تبنـــوا العلا متفرقينـــا

تســـاندت الكواكب فاستقرت ولولا الجاذبيـــة ما بقينـــا

ولتكن حياتنا كلها حركة وجهاد وعمل وبناء :

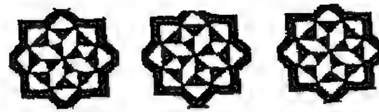
جهـــاد المؤمنين لهم حيـــــاة   الا ان الحياة هى الجهـــــاد

عقائدهم ســـواعد ناطقـــات   وبالأعمـــــال يثبت الاعتقـــاد

وليفتح المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أعينهم ، وليبنوا خططهم ، على أنه لا أمل الا فى أنفسهم ولا حياة الا ببذل الجهد ، فى سبيل تدعيم البناء الروحى والمادى . وبهذا :

سنمضى فى طريق النـــور قدما   وان طفقت تعارضنا الشعوب

سنمضى حاملين لـــواء عـــز   به يتفتـــح الأمـــل الرحيـــب



خلق الصدق وأثره فى حياة الأمة

ان الاســـلام الحنيف منهج متكامل ، يقود الانسانية ويهديها الى الصواب ، ويمنحها غاية السعادة فى الأنفس والمجتمعات ، وفى الدين وفى الدنيا . وذلك ما جاء به الاســـلام من قدسية الحق ، وجلال الوسيلة ، وكفاية الفطرة ، والوفاء بالغاية ، فى كل مجال من مجالات المجتمع .. وفى كل جانب من جوانب الحياة .

ان الاسلام دين الفضائل العليا ، والقيم الرشـــيدة ، التى يرمى بها الى تكوين النفس وبناء الفرد ، وتشكيل المجتمع ، على نحو يتناسب ومنهج الحياة المتكامل الذى جاءنا به الحق عز وجل .

ان الاسلام دين المثل الكامل الذى نزله الله للبشر .. وهو المنهج الحق الـــذى أراد لهم أن ينهجوه ، ويحيوا فى اطاره .. وهو ان التزموا به ، لبى فيهم هواتف الروح ، وأشواق البدن ، وضرورات العيش ، ومقتضيات المجتمع ، وأحاطهم بكل ما فيه أمنهم وسلامهم ورشادهم فى حنايا النفس وشئون ورحاب المجتمع .

ومن خير صـــور العطـــاء التى أهداها الاســـلام ومنحها للبشر ، ماجاءهم به من كريم الأخــلاق ، وعظيم الفضائل ، وباهر السجايا والخلال ، مما يمكن أن يعتبر منهجا أصـــيلا وافيا بالغرض

فى بابه ، لمختلف انماط السلوك البشرى وشموله لحياة الناس واستغراقه لكل أغوار النفس الانسانية وأعماقها ، وشتى الخواطر الواردة عليها ، والمنبعثة فيها .

والصدق فى طليعة الأخلاق التى جاء بها الاسلام ، وحيا بها المسلمين . والصدق نقيض الكذب . وصدقه الحديث : أنبأه بالصدق . ويقال صدقت القول أى قلت لهم صدقا . وصدقنى فلان : أى قال لى الصدق .. ورجل صدوق : أبلغ من الصادق . والمصدق . : الذى يصدقك فى حديثك !

والصدق : مطابقة الخبر للمخبر عنه وللضمير ، والكذب بخلافه .. والصدق والكذب : أصلهما فى القول ماضيا كان أو مستقبلا ، وعدا كان أو غيره . ولا يكونان بالقصد الأول الا فى القول . ولا يكونان بالعرض فى غيره من أنواع الكلام كالاستفهام والأمر والدعاء وذلك نحو قول القائل : أزيد فى الدار . فان فى ضمنه أخبارا بكونه جاهلا بحال زيد .

والصدق : مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا . ومتى فقد شرط من ذلك لا يكون صدقا تاما . بل اما الا يوصف بالصدق ، واما أن يوصف تارةبالصدق ، وتارة بالكذب . على نظرين مختلفين . كقول الكافر من غير اعتقاد (محمد رسول الله) فان هذا يصح أن يقال : صدق لكون المخبر عنه كذلك . ويصح أن يقال : كذب، لمخالفة قوله ضميره .وبالوجه الثانى كذب الله تعالى المنافقين(١)

(١) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٤٨ ولسان العرب ج ١ ص ١٩٣ .

حيث قالوا : انك لرسول الله ، فقال : « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » .

والصدق فضيلة أساسية ضرورية للاجتماع الانسانى ، ولولاها لما قامت شريعة ، ولا استنارت سبل الهداية ، ولا دون علم ، ولا ارتقى فن .

وفى الجملة منزلة الصدق من أعظم منازل القوم ، الذى تنشأ منه جميع منازل السالكين . وهو الطريق الأقوم الذى من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين . وبه تميز أهل النفاق من أهل الايمان . وهو سيف الله فى أرضه الذى ما وضع على شىء الا قطعه ولا واجه باطلا الا أزاله وصرعه . فهو روح الأعمال ، ومحل الأحوال ، والحامل على اقتحام الأهوال ، والباب الذى دخل منه الواصلون الى حضرة ذى الجلال .

وقد أمر الله سبحانه أهل الايمان أن يكونوا مع الصادقين ، وخصص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين . فقال « **يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**(١) » .

وقال :

« **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**(٢) » .

---

(١) سورة التوبة . الآية رقم ١١٩ .
(٢) سورة النساء . الآية ٦٩ .

ولا يزال الله يمد الصادقين بنعمه والطافه ، ويزيدهم احسانا منه وتوفيقا . ولهم مزية المعية مع الله . فان الله مع الصادقين ولهم منزلة القرب منه اذ درجتهم منه تالية درجة النبيين ، وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الايمان ، والاسلام ، والصدقة ، والصبر، وبأنهم أهل الصـــدق . فقال :

« ولكن البر من آمن بالله واليـــوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » الى قوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون(١) ».

ولقد كانت فضيلة الصدق منذ القدم خلق الأنبياء والحكماء والعلماء والأفاضل . وكان أول جهر النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة معتمدا على الصدق الذى عرف به بين قومه .

فالصدق أبرز الفضائل الكبرى التى ينبثق عنها كثير من خلال الخير وفضائل الأخـــلاق . . وهو من أهم الفضائل فى تكوين النفس السوية وبنائها ثم هو من ألـــزم الخـــلال فى اعـــداد الشخصية القيادية وتأهيلها ، لتكون جديرة بما سيوضع بين يديها من أمانات القيادة والامامة .

ثم هو سر أصيل من أسرار الجاذبية التى تشد الأواصر بين القائد وتابعيه . من أجل هذا كله كان الصدق فى طليعة الصفات التى تقضى الضرورة أن يتصف بها الأنبياء والمرسلون ومن دار فى فلكهم ، وواكب مسيرتهم فى اصـــلاح الحياة والاحياء . اذ الصدق

---

(١) سورة البقرة . الآية ١٧٧ .

أبرز الفضائل وأساسها بل والزمها للشخصية القيادية ، والصقها بها ، واشدها صقلا لها ، وأكثرها جاذبية وتألقا .

لقد اتصف بهذه الفضيلة الكبرى جميع الأنبياء والمرسلين فغدت في حياتهم صفتهم البارزة ، وسمتهم الأصيلة ، وشامتهم التي لا تفارقهم في أي شأن من الشئون الخاصة والعامة ، ثم غدت في حياة أممهم سرا من أسرار القوة ، وعاملا في طليعة عوامل الدعوة التي كان لها اكبر الأثر في نجاحها ، وجمع البشر على طريقها ، بحيث أصبح الصدق اكبر الأدلة على الثقة فيهم ، والتسليم لهم ، والايمان بهم .

من اجل ذلك كله جاء الاسلام يهتف بالصدق ويأمر به ، ويدعو اليه ، كفضيلة كبرى من أوليات الفضائل التي لا تصلح حياة البشر ولا تستقر الا بها ، ولا ينعمون الا في رحاب الأخذ بها ، والتطبيق لها .

والحق ان أي مجتمع من المجتمعات لا تصلح له حياة ، ولا يستقر له وضع الا اذا أخذ حياته بالصدق ، والتزم به ، فغدا سديدا في عمله ، مصيبا في قوله ، سويا في تفكيره ، مستقيما في سلوكه ، صادقا مع ربه ، ومع نفسه ، ومع غيره من الأمم والشعوب ، وهذا من غير شك اذا انطبعت أخلاق أمة وحرصت عليه ، واعتصمت به ، فانه يقودها الى مقام البر كلمة الحق الجامعة لأطراف الخير وفنونه . في النفس ، والفرد ، والمجتمع ، في الدين

والدنيا . ثم انه يتدرج بها درجة أعلى بحيث تصبح خير أمم الله التى يبوئها الله شرف الدنيا وكرامة الأخوة فتكون من المفلحين .

فالصدق : دليل الخير ، ومطية البر ، وامارة الحب .. وتلك أمور ما شاعت فى أمة الا تماسكت لبناتها ، وتضافرت جهودها ، وتعاطفت قلوبها ، فهيأها هـذا لحب الله ورسوله ، ثم لرضوان الله ونعيمه .

لكل ذلك دعا الاسـلام الى الصـدق فجاءت دعوته دعوة كريمة الى بناء النفس المؤمنة وتكوين المجتمع الفاضل الـذى يمضى سعيدا فى حياته ، راشدا الى غايته .

ولم يأت منهج ولا مذهب يدعو الى الصدق كما جاء الاسلام يدعو اليه بحيث يأخـذ به المؤمنون أنفسهم ، يزاملونه ويتفيأون ظلاله ، ويتعايشون فيمـا بينهم على هـداه ، بالكلمة السديدة ، والقولة الصادقة ، والفعل القويم ، والسمت المألوف .

قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (١)

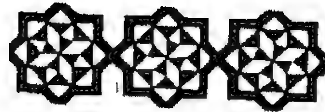
(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٧٠ — ٧١

فالدعوة الى الصـــدق والتمسك به ــ كما يرى العلماء ــ دعوة تجــد بين يديها المثل الواقــع للخير العظيم الذى ينــاله الصادقون بصدقهم . وان احتمل الصادقون فى سبيل كلمة الحق شيئا من الأذى والضرر فى أول الأمر ، فان العاقبة دائما لهم ، وهى عاقبة طيبة مســعدة ، تهىء لصاحبها الفوز والفــلاح فى الدنيا والآخــرة !!

والمسلمون اليوم فى أشد الحاجة الى الصــدق فى الأقوال والأفعال ، والصدق فى النيات ، والصدق مع الاسلام الذى نؤمن به ، والصدق مع النفس .

ويعلم الله اننا لو التزمنا بالصدق مع الله لما آل حال المسلمين الى ما وصل اليه من التقاتل والتضارب والتطاحن . ولما استطاعت القوى الشريرة ان تتكالب مسعورة لتنهش المسلمين وتنال منهم .

ولا شك انه بقدر ما تكون الأمة الاسلامية قريبة من الحق ، مستقيمة على النهج الصحيح ، بقدر ما تكون سوية جادة ، مطمئنة عزيزة السلطان ، منيعة الجانب .



أثر الصدق فى قوة الإيمان

الصدق فى طليعة أمهات الفضـــائل العليا التى اتصـــف بها الأنبياء ، وطبعوا عليها ، وتخلقوا بها ، والتصقت بهم . فلم تفارقهم حتى أصـــبحت آية الآيات ، على وجوب الثقـــة فيهم ، وضرورة الايمان بهم .

وكان طبيعيا من الاسلام — وقد جاء يحتفى بالفضائل التى تبنى على جوهرها النفوس وتنهض على دعائها الأمم — أن يدعو الى الصدق كفضيلة كبرى من الفضائل الجامعة لأطراف الخير ومعالم البر .

ان الاسلام ليس دين الترف العقلى ، أو الترفيه الفكرى .. ولكنه دين المنهج العملى المتكامل الذى يرمى الى بنـــــاء النفس المؤمنة ، ويهدف الى تكوين المجتمع الفاضل .

وليس هناك ما هو أدخل فى هذا المجال من عامل الأخلاق ، وما يشيع فى الأمة من الانماط والصور والمظاهر .

وللأخلاق فى الاسلام صلة كبرى بالايمان أهم عوامل البناء الداخلى للنفوس ، والأفراد ، والجماعات ، والأمم .

وخلة الصدق على رأس الخلال التى تتصدر منهج الأخلاق فى الاسلام ، والتى تتصل اتصالا وثيقا بالايمان بالله ، وبكل قيم الحق والخير ، والجمال .

والصدق احد مظاهر الايمان ، وأقوى الأدلة على وجوده فى قلب صاحبه ، وأنصع البراهين على حيويته ، وابراز عطائه ،وبلوغ غايته ، والوفاء بمتطلباته ، وفرائضه .

قال تعالى فى سورة الحجرات : ((**انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون(١)**)) .

فما من مسلم يرتفع الى مستوى الصدق ومعطياته — سيما فى قضايا الأمة ، وكل ما يتعلق بالحق وشرفه ، وواجباته ومصيره — الا كان ذلك خيرا وأوجب ثناء ، وأعظم مثوبة ، وأجزل أجرا .

فالمؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، فنزل هذا الايمان فى قلوبهم منزلة اليقين لا يزحزحه عنه أى عارض من عوارض الحياة، ولا يغير وجهه فى قلوبهم ما يلقاهم على طريق الحياة ، من بأساء وضراء ، ثقة منهم بالله ، وركونا اليه ، ورضاء بقضائه ، وصبرا لحكمه .

((**انما المؤمنون الذين أمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا(٢)**)).

---

(١) سورة الحجرات . الآية رقم ١٥ .
(٢) سورة الحجرات . الآية رقم ١٥ .

هذا هو الايمان فى صميمه . أما الايمان الذى يهتز كيانه فى قلب الانسان لأى عارض ، ويتضاءل شخصه عند أى بلاء ، فهو ايمان غير خالص ، بل هو مشوب بآفات كثيرة من الشك ، وسوء الفهم فاذا وضع على محك التجربة والامتحان ظهر ما فيه من ضعف . فلم يحتمل التجربة ، ولم يصمد أمام تيار الامتحان .

حقا أن بين الصدق والايمان صلة قوية ، ونسبا وثيقا ، يقترنان ولا يفترقان ، بحيث لا ينفك أحدهما عن صاحبه . فلا يكون المرء مؤمنا حقا الا اذا كان صادقا . ولا يكون ثقة الا اذا ارتكزت فضيلة الصدق لديه على قاعدة الايمان ، وانبثقت عنه .. كما أن بين كل منهما تفاعلا مستمرا ، وعطاء دائما ، ورحما موصولة .. فالايمان يزيد فى الصدق ، ويزيد به ، والصدق يزيد به ، ولا غنى لأحدهما عن قرينه .

على أن الصدق يعتبر من أهم المظاهر والأدلة على وجود الايمان وأصالته ومن ثم تلمس له فى حياة المؤمنين ثقلا ، ووزنا ، ونتيجة ، وفاعلية ، تتوقف عليها مصائرهم وتتحدد على ضوئها اقدارهم من الايمان، ومراكزهم فى الأمة، ثم مكانتهم من الله عز وجل .

قال تعالى فى سورة الأحزاب ((**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم(١)**)) .

---

(١) سورة الأحزاب . الآية رقم ٢٣ .

يقول العلماء المفسرون : فمن المؤمنين الذين سلموا من النفاق رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . اذ ليس كل المؤمنين على درجة واحدة فى ايمانهم . بل هم درجات فى الايمان ، كما أنهم درجات عند الله .

فالصدق فى الاسلام خير مقود يؤم صاحبه الى أمثل خطوط الاستقامة وأقومها .

الأمر الذى تستجيب لهتافه وتنضبط على هداه ، كل طاقاته ، وقدراته ، وجوارحه منطبعة بطابعه ، ماضية على سننته ، فى الشكل والجوهر .. ولا يزال صنيع الصدق حتى يتحول الانسان المسلم الى مؤمن ايجابى ، باذل معطاء ، يعطى من نفسه وجهده . فاذا هو مركز نفع ، ومصدر اشعاع ، بار بنفسه ، وعشيرته ، ومجتمعه ، وأمتـــه .

قال تعالى فى سورة الزمر ((**والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ، ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون(١)))** .

فالذى جاء بالصدق هو من شأنه الصدق فى قوله ، وعمله ، وحـــاله .

---

(١) سورة الزمر . الاية رقم ٣٣ — ٣٥ .

فالصدق فى الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها .

والصدق فى الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد .

والصدق فى الأحوال : استواء أعمال القلب ، والجوارح على الاخلاص ، واستفراغ الوسع ، وبذل الطاقة . فبذلك يكون المسلم من الذين جاءوا بالصدق .

وبحسب كمال هذه الأمور فيه ، وقيامها به تكون صديقيته .. ولذلك كان لأبى بكر الصديق ذروة الصديقية ، حتى سمى الصديق على الاطلاق والصديق أبلغ من الصدوق ، والصدوق أبلغ من الصادق . فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية ، وهى كمال الانقياد للرسول ، مع كمال الاخلاص لله .

ومن علامات طمأنينة القلب اليه . كما فى الترمذى مرفوعا : (الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة) وفى الصحيحين : (ان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها ، وهى غايته . فلا ينال درجتها كاذب البتة ، لا فى قوله، ولا فى عمله ، ولا فى حاله.

ويقول الشيخ عبد الله الانصارى : الصدق اسم لحقيقة الشىء حصولا ووجودا . والصدق هو حصول الشىء وتمامه وكمال

قوته ، واجتماع أجزائه ، كما يقال : عزيمة صادقة اذا كانت قوية تامة والصدق ـــ كما يذكر العلماء على ثلاث درجات :

الأولـــى : صدق القصد . وبه يصح الدخول فى هذا الشأن ، ويتلافى كل تفريط ، ويتدارك كل فائت ، ويعمر كل خراب . وعلامة هذا الصادق ألا يحتمل داعية يدعو الى نقض عهد ، ولا يصبر على ضد ، ولا يقعد عن الجد بحال .

والدرجة الثانية : ألا يتمنى الحياة الا للحق ، ولا يشهد من نفسه اثر النقضات ، ولا يلتفت الى ترفيه الرخص أى لا يجب أن يعيش الا فى طلب رضا محبوبه ، ويقوم بعبوديته ، ويستكثر من الأسباب التى تقربه منه .

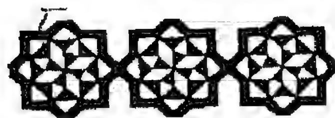
والدرجة الثالثة : الصدق فى معرفة الصدق . يعنى أن الصدق المحقق انما يحصل لمن صدق فى معرفة الصدق أى لا يحصل حال للصادق الا بعد معرفة الصدق .

فليس هناك كالصدق فضيلة جامعة ، يتألق فى ظلالها البر ، بمدلوله الشامل الواسع ، المحيط بالعقيدة ، والعمل ، والدين ، والعلم ، والحياة ، والأخلاق ، والسلوك، والمجتمع، وكل مايتصل بنهضة الأمة ، وتكوينها ، ومقوماتها ، واعدادها لكل واجبــات الحيــــاة .

وليس هناك كالصدق فضيلة كبرى ، يترك فى وجدان الآخذين بانطباعات محدودة ، يستشعرون بها راحتهم وهدوءهم ، ويضـــع

على اخلاق الموالين له بصمات حيوية ، يجدون بها اســـتواءهم وثباتهم ، ويشع على سلوك العاكفين عليه ، انعكاسات مشرقة .. يلمسون بها فى حياتهم ، من معالم الاستقرار والطمأنينة ، ما يؤهلهم الى كل خير ، والى كل اسباب النجاة .

والصدق أحد معالم الرجولة البارزة والنفوس الجادة ، وأهم سمات الشخصية القيادية ، وأعظم مقومات البطولة الحقة التى تصدع بالحق فى وجه الباطل ، وتصرخ بالعدل فى وجه الظلم ؛ وتسعى فى فداء وعطاء وبذل ، وراء الهدى تهتف به ، وتدعو اليه، وتقدمه للمسلمين زادا ، وريا ، وعملا بارا ، وأملا دائما وامنيـــة موصـــولة .



القسم الثاني

العلم والحضارة الإسلامية

الأمالى والعلوم

ان العلم والتعلم أمر طبيعى فى كل عمران بشرى . ولهذا فقد كان طبيعيا أن تعظم بواعث الحركة العلمية فى المملكة الاسلامية ، وأن تشتد الحاجة الى التدوين منذ بداية الاتساع .

وكل هذه العوامل جعلت من الضرورات الحافزة للمسلمين ان يعنوا فى وقت مبكر بالعلم والتدوين ، عناية تفوق كل اعتبار ، حتى يسدوا حاجات العصر والمجتمع الاسلامى ، فيما تعوزهم اليه الضرورة من شتى نواحى المعرفة ، وألوان الثقافة فى الفنون والآداب والصناعات . ومن القواعد الأساسية التى أقرها الباحثون فى علم الاجتماع أن اتساع العمران وعظم الحضارة يقتضيان زيادة فى العلوم وازدهارا فى المعارف .

يقول ابن خلدون فى احد مباحثه عن تأثير الحضارة : « بسبب ان الحضر لهم آداب فى أحوالهم فى المعاش والمسكن والبناء وأمور الدين والدنيا وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم لهم فى ذلك كله آداب يوقف عندها فى جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنها حدود لا تتعدى وهى مع ذلك صنائع يتلقاها الآخر عن الأول منهم ولا شك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا تستعد به

لقبول صناعة أخرى ، ويتهيأ بها العقل لسرعة الادراك — للمعارف »(١) .

ويقول ابن خلدون فى موضع آخر : « ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتقظم الحضارة »(٢) .

ويستشهد فى ذلك بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة ، فانه لما عظم عمرانها، واستوت فيها الحضارة ، وكثرت هجرات العلماء والمتعلمين اليها ، زخرت فيها بحار العلم ، وتفنن العلماء فى اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم ، واستنباط مسائل الفنون حتى أربوا على الغاية منها(٣) .

ومن اللازم المرعى أن تستبحر العلوم والمعارف فى هذا العصر ، سدا لحاجات المجتمع ، وتجاوبا مع أحواله ، وما يتفاعل فيه من الظاهرات والعادات وما يجرى فيه من الأحداث . وقد قيض الله للعلم فى هذه الحقبة من الخلفاء والأمراء من أذكوا جذوته وأتموا غراسه ، فاحتضنوا العلماء وأدنوهم من مجالسهم ، وقربوهم الى نفوسهم وقلوبهم ، وافسحوا لهم صدورهم وقصورهم ، حتى غدوا من أكبر أعوان الدولة ونصرائها وصار العلم يومئذ سياجا يحمى حماها وحصنا منيعا يكفل علاها .

ولم تلبث حركة التأليف أن ازدهرت ازدهارا رائعا فى أواخر القرن الثانى الهجرى يدفعها ويمدها بأسباب الخصب والنماء نشوء

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٠ طبع كتاب التحرير بالقاهرة ١٣٨٦هـ
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧١ طبع كتاب التحرير بالقاهرة .
(٣) أطوار الثقافة والفكر الجزء الأول ص ١٦٣ .

صناعة الورق فى بغداد ابان عهد الرشيد حين برزت فئة جديدة فى المجتمع الاسلامى تعرف بفئة الوراقين التى ينتمى اليها كثير من العلماء خلال العصور من أمثـال ابن النديم والحاجب وياقوت الحموى . « حيث كثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلهما فى الآفاق والأمصار ، فانتسخت وجلدت ، وجادت صناعة الوراقين المعاونين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسـائر الأمـور الكتابيـة والدواوين واختصـت بالأمصـار العظيمـة العمران(١) » .

ولم تكن حوانيت الوراقة مجرد دور للنسخ ، وانما كانت أماكن تجمع العلماء والأدباء ، وملتقى فئات المثقفين ، بل كانت فوق ذلك مراكز ثقافية متناثرة للنشاط الفكرى ومخازن حافلة لكل ماكانت تبدعه القرائح المتفتحة والعقول المستنيرة فى شتى فروع المعرفة ، حتى ان المكتبة العربية بلغت مدى هائلا من الضخامة .

وقد عبر « وول ديورانت » عن روح تلك العصر بأنه : « لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب فى بلد آخر من بلاد العـالم ما بلغه فى بلاد الاسلام خلال هذه القرون ، حين وصل الى ذروة حيـاته الثقافية ، وأن عدد العلماء فى آلاف المساجد المنتشرة فى هذه البلاد من قرطبة الى سمرقند ، لم يكونوا يقلون عن عدد ما فيهـا من أعمـدة(٢) .

وقد ساعد على هذه النهضة غنى الدولة الاسلامية ، وقوة

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ط. كتاب التحرير .
(٢) راجع : عاديات حلب . المجلد الثانى ص ٧٣ . طبع حلب .

سلطانها ، واتساع نفوذها ، واستنهاض همم العلمـاء للبحث والاطلاع ، ولم يكد يمضى قرن من الزمان حتى ــ أتت جميع العلوم الاسلامية اكلهـا ، وطابت ثمارهـا ، واستكملت كل مقوماتها وخصائصها كما ترجمت الى اللغة العربية مدونات الأمم القديمة ذات الحضارات العريقة كاليونان والفرس والكلدان والسريان والهنود والمصريين. وبذلك نمت معارف العرب وازدهرت حضارتهم وثقافتهم واجتمعت لهم علوم الأولين والآخرين وعلوم الدنيا والدين، وانصرفت الهمم الى اتقان هذه العلوم وتحصيلها والتبحر فيهـا والزيادة عليها ، حتى اتى العلماء والدارسـون فيهـا بالعجب العجـاب(١) .

ولا شك أن تفاعلا حضاريا فى مختلف العلوم والفنون قد أخذ دوره فى محيط الحضارة الاسـلامية من واقع تأثرات المخالطة ، مما جعل الحركة العلمية تزدهر وتتطور تطـورا يلائم الاتجاهات العقلية والحياة الاجتماعية .

والذى حدث فى بداية النهضة الحضارية والوثبة العلميـة الشـاملة واقبال الناشئين على التزود من المعارف . أن ظهرت مدارس عامة مفتوحة ، راحت تتخذ من أبهاء المساجد فى أعقاب الصلوات مراكز معهودة لها ، وأخذ الشيوخ المتمكنون من العلم يتصدرون هذه المجالس التى كانت تعقد على هيئة حلقات ، يشكلها الشبان الظامئون الى المعرفة .

---

(١) أطوار الثقافة ص ١٦٤ .

وكان طبيعيا تجاه ذلك كله أن يحرص العلماء على تدوين ما يروقهم أو يهمهم مما كان يتفوه به شيوخ العلم فى تلك الحلقات، وأن يتجاوب الشيوخ فى الوقت نفسه مع هذه الرغبة ، فيملوا على مريديهم الذين كانوا يلزمونهم أحيانا لزوم الظل فكانت حصيلة ذلك على تعاقب الأيام كراريس ودفاتر حافلة بالمعارف الملقاة والمملاة ، غدت فى نهاية المطاف بمثابة كتب تنسخ لطالبيها ، وتتداول بين الناس ، وهذا النمط من الكراريس والدفاتر هو الذى شاع تلبية لحاجات العصر التعليمية وبات يعرف بالأمالى(١) .

وظاهرة الاملاء والأمالى ، كانت ضرورة علمية اقتضتها طبيعة العصر ، واتساع آفاق المعرفة ، فهى وليدة الحاجة التعليمية ، والحياة العلمية فى المسيرة المبكرة للحضارة الاسلامية .

وهكذا غدا أسلوب الاملاء المنحى الشائع لدى المعلمين والمتعلمين فى الأوساط العلمية والثقافية ، كما غدا فى الوقت نفسه النواة الحقيقية لحركة التأليف عند العرب(٢) .

ولفظ « الامالى » اسم منقوص بياء ساكنة غير مشددة ، وهو جمع املاء ، على غير قياس كانسان وأناس . والأمالى أيضا جمع أملية ومثلها أغنية أغانى . ويقال أملى املاء وأمل املالا(٣) .

---

(١) انظر : عاديات حلب المجلد الثانى ص ٧٣ .

(٢) عاديات حلب ج ٢ ص : ٧٤

(٣) عاديات حلب ج ٢ ص : ٧٦ .

واملت املالا كأخبرت اخبارا لغة الحجازيين وبنى أســد ، وبها جاء قوله تعالى :

﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (١)

وليملل اى يسمع الكاتب الألفاظ التى يكتبها ويلقيها عليه . واملال والاملاء لغتان فصيحتان . وليملل أمر من املل يملل ، فلما سكن الثانى جزما ، جرى فيه لغتان : الفك ، وهو لغة الحجاز ، والادغام وهو لغة تميم . وكذا اذا سكن وقفا نحو : املل وامل ، وهو مطرد فى كل مضاعف ، ويقال : امللته وامليته ، فقيل هما لغتان وقيل الياء بدل من أحد المثلين . واصل المادتين الاعادة مرة بعد أخرى(٢) .

وأغلب الظن ان كلمة « الامالى » بمعنى ما يمليه أستاذ على تلميذ على نحو يشبه التلقين . انما تشير الى بواكير حركة التأليف عند العرب ، عندما كان الشيوخ يلقون ما لديهم من المعارف ارتجالا وبشىء من البطء على ملأ من طلاب العلم الذين يتحلقون(٣) حولهم

---

(١) سورة البقــرة : الآية ٢٨٢ .
(٢) الفتوحات الالهية ج ١ ص ٢٣١ طبع الحلبى بمصر .
(٣) يتحلقون بمعنى من حلقات حول الشــيخ وحلقـــات الجامع الأزهر مشــهورة .

. فيتلقى هؤلاء عنهم ما يقولونه ويدونونه فى القراطيس . ويغدو بين أيديهم من ذلك فى نهاية الأمر مجموعة من « الامالى التى تصلح لأن تكون نواة لكتاب(١) » .

وتسمية الكتب التى أملاها العلماء والشيوخ وتجمعت فى أيدى المريدين بالامالى تسمية عامة واسعة الدلالة . ولهذا كان طبيعيا ألا تقتصر كتب الامالى فى موضوعها ومضمونها على علم من العلوم . أو من الفنون مادامت صبغتها عامة باعتبارها حصيلة ما يلقيه أو يمليه الشيوخ فى مجالسهم من معارف شتى .

ويلاحظ أن ظاهرة الاملاء لم تبق محصورة فى نطاق كتب « الامالى » المعهودة فحسب ، بل تعدتها الى كتب كان أصحابها من الشيوخ العلماء يملونها على مريديهم وتلاميذهم دون أن تحصل بالضرورة اسم الامالى عنوانا لها .

ومن ذلك أن صاعد بن الحسين البغدادى ، تصدى لتأليف كتاب يفوق كتاب « الامالى » لأبى على القالى . وزعم صاعد للمنصور بن أبى عامر انه يملى على كتاب دولته كتابا أرفع منه وأجل ، لا يورد فيه خبرا مما أورده أبو على . فأذن له المنصور فى ذلك وجلس صاعد بجامع مدينة « الزاهرة » يملى كتاب «الفصوص» فلما أكمله تتبعه الأدباء والعلماء بالنقد والتمحيص . فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم . فأمر المنصور بأن يقذف كتاب « الفصوص » فى النهر ، فقال بعض الشعراء :

---

(١) عاديات حلب جـ ٢ ص ٧٦ .

قد غاص فى الماء كتاب الفصوص وهــكذا كل ثقيـــل يغوص

فأجابه مؤلفه صاعد بن الحسين بقوله :

عــاد الى معدنـــه انمــــا توجد فى قعر البحار الفصوص(١)

وطريقة التأليف فى « الأمالى » هى أن يقصـــد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتابا يسمونه « الامالى » وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية(٢) .

فالأمالى ما يمليه أستاذ على طلابه فى العلوم والمعارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث ولغة وأدب . ومن هنا وتبعا للمدلول الواسع لكتب الأمالى كثرت الكتب التى تحمل هذا الاسم كثرة بالغة فى التراث العـــربى(٣) .

ولعل القارىء يعرف أنه الى عهد قريب كان تحفيظ القرآن الكريم فى الكتاتيب المنتشرة للناشئين فى القرى والأمصار ، فى مصر والسودان ، كان عن طريق الاملاء .. وذلك بأن يأتى الطالب بلوح من صفيح أبيض طوله تقريبا ثلاثون سنتمترا وعرضـــه عشرون سنتميترا وبعد أن يجيد الطالب حروف الهجاء وتراكيبها يبدأ الشيخ المعلم ويسمى « الخطيب » وسيدنا ، فى التملية ، فيملى على الطالب كل صباح يوم آيات من القرآن الكريم ، ويقـــوم الطالب بحفظها

---

(١) تاريخ الفكر الاندلسى ترجمة الدكتور أحمد مؤنس ص ٦٧ .
(٢) كشف الظنون لحاجى خليفة الجزء الأول ص ١٦١ طبع القاهرة .
(٣) عاديـــات حلب جـ ٢ ص ٧٧

وتجويدها ويتدرج فى ذلك كما وكيفا حتى يتم حفظ القرآن الكريم كله . ومن المدهش حقا أن هذه الطريقة تخرج عليها كل من يجيد حفظ القرآن الكريم ، وصاحب هذه الكلمات قد حفظ القرآن الكريم فى سن مبكر عن طريق الاملاء فى كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم . والكتاتيب جمع كتاب « بتشديد التاء » وهو المدرسة الخاصة بالقرآن الكريم .

ونظرا لأن تدوين الحديث النبوى كان الباعث الأول للحركة العلمية عند العرب فانه من الطبيعى أن يغدو رواة الحديث وعلماؤه رواد حركة التأليف التى نشطت فى القرن الثانى الهجرى ، وأن تنتقل طرائق المحدثين تبعا لذلك الى سائر رجال العلم والأدب . وقد استتبع ذلك أيضا تشارك المحدثين واللغويين فى طريقة الاملاء(١) .

والى ذلك يشير السيوطى فى قوله :

« ان من وظائف الحافظ فى اللغة أربعة : احداها وهى العليا الاملاء كما أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الاملاء ، وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير ، فأملى ثعلب مجالس عديدة فى مجلد ضخم ، وأملى ابن دريد مجالس كثيرة ، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنبارى وولده أبو بكر مالا يحصى وأملى أبو على القالى خمسة مجلدات وغيرهم وطريقتهم فى الاملاء كطريقة المحدثين »(٢) .

---

(١) عاديات حلب جـ ٢ ص ٧٨ .
(٢) المزهر للسيوطى جـ ٢ ص ٣١٣ .

ويعلق أحد العلماء على كلام السيوطى قائلا : وواضح أن السيوطى فى هذا النص يؤكد على التلازم بين طرق المحدثين وبين طرق اللغويين وهذا يعنى بعبارة أخرى انه تم التوصل فى مرحلة التفتح الحضارى عند العرب الى ايجاد منهج ركين أصبح قسمة مشتركة لمجموعة من علوم العصر وقاعد وطيدة للبحث والتأليف والتعليم(١) .

والنتائج التى نبغى الوصول اليها هى أن « الأمالى » كانت حركة علمية واكبت التقدم العلمى الذى شهدته الأمة الاسلامية فى ازدهارها ، وكانت للأمالى مكانة سامية ، ووسيلة من وسائل تسجيل العلوم ، واستمرت مجالس الأمالى تؤدى دورها فى مجتمع اهتم بالعلم ، وتطلع الى العلماء ، وصار الناس يتناقلون ما جاء بالأمالى ويتدارسون ما فيها ، فتوسعت المدارك ، وتفتحت العقول، وتنبهت الأذهان ، وتحرر الناس من أصفاد الجهل وظلمته .

وكتاب الامالى لأبى على القالى ، من أمهات الكتب الأدبية المعدودة ، كثيرا ما نجد أئمة اللغة والأدب ينظمون فى كتبهم من درره، ويفترفون من بحره ، وهو تأليف جزيل الفائدة ، جم النفع ، لمن يريد التعمق فى علم اللغة ، وتزيين عقله بالآداب العربية ، والأخبار المنتخبة ، والأشعار المختارة ، والأمثال المستجادة ، والحكم البالغة(٢) .

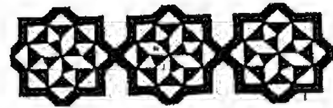
---

(١) عاديات حلب ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) من كلمة لمحقق كتاب « الأمالى » لأبى على القالى ص ١٨ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وأبو على القالى يقول فى مقدمة كتابه « الأمالى : لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة ، فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراية ، ثم أعملت نفسى فى جمعه ، وشغلت ذهنى بحفظه ، حتى حويت خطيره وأحرزت رفيعه ورويت جليله، وعرفت دقيقه ونقلت شارده ، ورويت نادره ، وعلمت غامضه ، ووعيت واضحه ، فأمليت هذا الكتاب من حفظى فى الأخمسة بقرطبة وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، وأودعته فنونا من الأخبار ، وضروبا من الأشعار ، وأنواعا من الأمثال ، وغرائب من اللغات ، على أنى لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ، ولا ضربا من الشعر الا اخترته ، ولا فنا من الخبر الا انتخلته ، ولا نوعا من المعانى والمثل الا استجدته ثم لم أخله من غريب القرآن ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم »(١) .

وينفرد كتاب « الأمالى » لأبى على القالى بأنه فى طليعة كتب الأمالى وأشهرها اطلاقا وطبع طبعات متعددة ، ولا زال منهلا لرواد اللغة والأدب والنوادر والأمثال .



(١) مقدمة ابو على القالى لكتابه « الأمالى » ص ٢٤ طبع الهيئة المصرية العامـــة للـــكتاب .

العقيدة العلمية فى الإسلام

العقل هو القوة المنبهة لقبول العلم ، وسمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن الزلل . ويقال للعلم الذى يستفيد منه الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقـــل عقلـــين فمطبـــوع ومســـــموع
ولا ينفـــع مســـموع اذا لم يـــك مطبــــوع
كما لا تنفـــع الشمـــس وضـــوء العـين ممنـــوع

والى العقل الفطرى المطبوع ، يشير ما روى الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل)** وكذا ما جاء من أن : (أول ما خلق الله العقل) .. والى العقل المكتسب يشير ما روى : **(ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى)** .

ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى أثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هى الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه ، للوصول الى ما يفيد الانسانية فى مسيرتها

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشـــتقاته ومترادفاته ومعانيه المختلفة فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدما لذلك كل الألفاظ التى تدل عليه أو ترشـــد وتشير اليه من قريب أو من بعيد من التفكير والتدبر ، والتذكر ، والحكمة ، واللب ، والنظر ، والرشد ، والرأى ، والعلم، والفقه ، والقلب ، والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والألفاظ التى تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها . مما يعتبر ايحاءات قوية بدور العقل وأهميته بالنسبة للانســـان .

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب، ويشرح الصدور.. وليس أتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل فى القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائف فى الحياة الانســـانية .

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذى ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذى امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء ، والمتعقلون . قبل ان يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، وأثرا فى داخله وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يئول اليه .

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف .

العقل رشــد يميز بين الهداية والضــلال .. العقل روية وتدبير .. العقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار .. العقل ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لمــا يكون وتحفظ وتعى، وتبدىء وتعيد ، والعقل بكل هذه المعانى موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل أمر بمعــروف ، وكل نهى عن محظور . أفلا يعقلون ؟ أفلا يتفكرون ؟ أفلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ اليس منكم رجل رشيد ؟ أفلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم، ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء .

والاشـارة الى العقــل لا تأتى فى القرآن الكريم عارضـة ، ولا مقتضبة فى سياق آية ، بل هى تأتى فى كل موضــع ، مؤكدة باللفظ والدلالة .

وتتكرر الاشارة الى العقل فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها الانسـان على تحكيم عقله ، أو يلام فيها الفكر على اهمال عقله ، ولا يأتى تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة . بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف ، أعمالهــا وخصائصــها .

فلا ينحصر خطاب العقل فى العقل الوازع ، ولا فى العقــل المدرك ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق ، والحكم الصحيح،

بل يعم الخطـــاب فى الآيات القرآنية ، كل ما يتســـع له الذهن الانسانى من خاصة أو وظيفة .

فالعقل فى مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الأخلاقى أو المنع من المحظور والمنكر .

ومن خصائص العقل الانسانى التى تميز بها :

أولا : انه ملكة الادراك التى يناط بها القيم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الأخلاقى ، وادراك اسبابه وعواقبه تستقل أحيانا بادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهى .

ثانيا : ان العقـــل يتأمل الأمر يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبنى عليها نتائجه وأحكامه .

ثالثا : ومن أعلى خصائص العقل « الرشد » ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لأن الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليهـــا مزيد من النضـــج والتمام والتمييز .

والعقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ويوازن بين الاضداد ويتبصر العواقب والنتائج ويتدبر ويحســـن الأدكار والرواية . ومن هذا المنطلق الاســـلامى ، تعـــمق العلماء المســـلمون فى علوم الحياة والحضارة الانسانية ، وبعقلية عملية ، فكان منهم نوابغ الأطباء

والفلكيين والرياضيين والكيمائيين ، وأوائل من اكتشفوا حقائق علمية فى مجالات كانت أول المعالم على طريق الباحثين والدارسين..

وكان العلماء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه : على أنه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفاع . ومن الحوادث الدالة على العقلية الموضوعة فى الفكر الاسلامى ، ما حدث مصادفة أن كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) .**

وهكذا يقرر الرسول الصادق الأمين ، مبدأ علميا ، ظل أبد الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد. وفى حادثة فيضان النيل بالاقليم المصرى ، موضوعة علمية ، تدل على نظافة الفكر الاسلامى ، وطهارته . وذلك أنه كان الاعتقاد السائد فى مصر قبل الفتح الاسلامى : أن النيل لا يفيض الا اذا ألقيت فيه فتاة حسناء لتموت فيه غرقا . فلما حان وقتذاك . كتب الوالى الى عمر بن الخطاب ، فى المدينة المنورة ، عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره ويستشيره فيما تعود عليه المصريون . فأجابه عمر ، بأرسال رسالة يلقيها فى النيل ، وكان فى الرسالة : (من عمر أمير المؤمنين الى النيل . ان كنت تجرى من عندك فلا حاجة لنا بك . وأن كنت تجرى بفضل الله ، فاللهم بارك لنا) .

وبهذا قضى المسلمون على اسطورة ليس لها واقع علمى ء عقلى فى الحياة .

وبالعقلية العلمية كانت علوم المسلمين ، هى أساس الحضارة فى العصر الأول وأخذت الحركة العلمية تتدرج فى أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة أطلوا منها على حضارات العالم . وكان المسلمون يعرفون المنهج الاستقرائى حق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة.

ولما كان العقل فى الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، فى تحريره ليظل العقل عاقلا، والفكر راشدا .. وهذا المنهج الاسلامى يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل فى المتاهات الفلسفية .

ومن شأنها ايضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل فى ميادين الخير، وما يفيد المجتمع الاسلامى والانسانى .

وأول دعامة فى المنهج الاسلامى فى تحرير العقل والفكر هى تحرير الانسان من اصفاد الجهل وظلمته .. لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمى البصائر ويميت عناصر الحياة والقوة فى الأفراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذى يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير .

والدعامة الثانية فى المنهج الاسلامى .. هى تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية

اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة . ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لأن كمال العقل ، واستقامة التفكير ، اساس فى صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذى يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذى يجب أن يجتنب .

وقد عنى الاسلام ببناء تحرير الانسان من اغلال الحجر العقلى عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح . وبين ان كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا كتاب ،قال تعالى فى سورة الحج:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

والدعامة الثالثة فى المنهج الاسلامى .. تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لمغرياتها .. لأن طاعة الاهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان فى سلوكه والتوائه فى نظره ، وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس فى جانبهم .

---

(١) سورة الحج . الآيتان ٨ ، ٩ .

ولهذا عنى الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعى عليهم ضلالهم ، فقال تعالى فى سورة القصص : **((فـان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين))(١) .**

وعن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .**

قال الحافظ الامام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهى وغيرها فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه .

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامى أن يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به فى الطريق المستقيم .. فان الاسلام أتبع ذلك بمبادىء قيمة ، ومن شأنها أن تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام .

أولا : ان الناس فى الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء لن يكونوا متماثلين . ولا متشابهين لأن الناس على درجات مختلفة ومراتب متباينة .. فهناك فريق من الناس قد لا تهيىء له حالاته والظروف المحيطة به الا شذرات من المعرفة .. وثمة فريق آخر لم تعده وراثته الا للسطحى من الأشياء وكم من الناس من قصرته البيئة على القشور من الحقائق ، وكم من النـاس من حصرته

---

(١) سورة القصص . الآية رقم ٥٠ .

التربية فى دائرة ضيقة من المرئيات .. وهناك من سجنته الخرافات والأساطير .. ومن الناس من جرفه تيار المـــادة ، فلم يعد يرى الأشياء الا بمنظار مادى .. لهذا طالب الاسلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والتأمل والتفكير فى ملكوت السموات والأرض .

قال تعالى فى سورة الغاشية :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى فى سورة ق :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الغاشية . الآية رقم ١٧ — ٢٠ .
(٢) سورة ق . الآية رقم ٦ — ٨ .

وهناك كثير من الآيات التى تدعـــو الى التفكير والنظر فى السموات والأرض وما خلق الله فيها .. ليصـــل الانســـان الى الايمان بالله ، فيرتقى الى السمو والكمال .

والانسان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار .. ولهذا نرى المجتمعات المادية والالحادية ، تساق كما تساق السائمة .

ويسوقها قطيع من الذئاب البشرية . وقـــد حرمت هـــذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أى شأن .

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكير والتدبر . بل استنهض العقول ووجه الأفهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان الآيات الكونية والتشريعية والاجتماعية بمثل قوله تعالى فى ســـورة الرعد : « **ان فى ذلك الآيات لقوم يعقلون** »(١) .

وقوله تعالى :

« **ان فى ذلك الآيات لقوم يتفكرون** »(٢) .

وقوله تعالى فى ســـورة طه : « **ان فى ذلك الآيات لأولى النهى** »(٣) .

---

(١) سورة الرعد . الآية رقم ٤ .
(٢) سورة الرعد . آية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢ وسورة الجاثية الآية ١٣
(٣) سورة طه . الآية رقم ٥٤ .

وقوله تعالى فى سورة يونس : « **ان فى ذلك الآيات لقوم يسمعون** »(١) .

وقوله تعالى فى سورة الرعد : « **انما يتذكر أولو الألباب** »(٢) .

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدى الى الرشد .. كما قال تعالى فى سورة الزمر : « **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** »(٣) .

وهكذا نرى أن الاسلام قد عمل على تطهير النفوس من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة لأن ذلك من أكبر العوامل فى اعتدال النظر واستقامة التفكير . ومن هنا كانت حملة الاسلام شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم ، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية .. ضاربين فى بيداء الضلال ، ومنقادين وراء سراب كل البدع والأهواء .

واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من اصفاد الجهل واغلال الحجر العقلى وسيطرة التبعية العمياء ـــ كما عرفنا فى دعائم المنهج الاسلامى فى تحرير العقل ـــ فان ذلك يعنى أن التقليد

---

(١) سورة يونس . الآية رقم ٦٧ .
(٢) سورة الرعد . الآية رقم ١٩ .
(٣) سورة الزمر . الآية ١٧ ، ١٨ .

الذى ذمه الاسلام . هو التقليد الذى لا يميز بين الخير والشر وتقليد أهل الغواية والضلال .

أما تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة .. فهو من قبيل القدوة الواعية.

وحرية الفكر التى دعا اليها الاسلام هى الحرية التى تطلق العقول والأفهام من أغلال الحجر العقلى ، والكبت الفكرى ، وتجلى معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجيه ، قيادة بناء واصلاح وارشاد .. تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته.

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الأساسية والاعتقادية فى حياة النفوس .. اما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذى يزن كل معطيات الحواس .. ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى فى سورة الاسراء : ((**ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا(١)**)) .

وهذه الآية تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية ، أو رؤية بصرية ، أو براهين عقلية ، وهى طرق الاستدلال التى تنحصر فى العقليات والسمعيات والمحسوسات .

لهذا كله اقبل المسلمون على العلم ينشدونه فى مظانه ، ووجهوا عزائمهم على الفكر الأصيل القائم على توجيهات الاسلام.

---

(١) سورة الاسراء . الآية رقم ٣٦ .

واننا نجدهم اهتموا بشيء واحد وعرفوا شيئا واحدا ، هو الاسلام والفكر الاسلامى فانتبهوا الى آيات الله التشريعية ، وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية .. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة ، ولم يثن عزائمهم بأساء الحياة .. وأقاموا الحضارة الاسلامية التى تخطت مراحل النهوض فى تاريخ النهوض والأمم .

واستطاعوا فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى التاريخ أن ينتقلوا من أمة الأمية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم ، وقادة الفكر والرأى ، ورواد المعرفة والحضارة ..

وبحثوا ، ودرسوا، وأضافوا، وجددوا ، وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضارى الأصيل وقد حققوا ذلك على الرغم من الأحداث العاتية التى حملوا أعباءها والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها.

لأن الأحداث والخطوب ، وان بلغت ما بلغت ، لا تستطيع أن تقف فى طريق العقائد التى انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .. ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب اذا قلنا انه لأول مرة فى تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص ، جعلتها فريدة فى التاريخ وفريدة فى تحقيق ما يسعد الانسانية .. وهذه الخصائص والميزات نجعلها فى النقاط التالية :

أولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الأساسى للقيم الحضارية ، قال تعالى فى سورة الرعد :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب(١) » .

والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف أن يسقط ، وتمسك القوى ان يجمح ، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب ان ييأس وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم ، وعماده الرضا والقناعة ، ونور الأمل فى الصدور .

ولهذا كرر رب العزة ، النداء فى القرآن الكريم بصيغة **« يايها الذين آمنوا »** وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل انواع الخطاب ، ابانة لحقيقتهم هذا الى ماينطوى عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفى النداء « يا ايها الذين آمنوا » زيادة ايناس وتكريم ، لأن احب شىء الى الانسان هو أن تناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الأشياء منهم اليه . وما فى الانسان شىء أقرب الى الله من الايمان به .

---

(١) سورة الرعد . الآية رقم ٢٨ .

والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم ، فسيكون التالى تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها ، فى أى شأن من الشئون ، وفى أى درب من دروب الحياة .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى القرآن الكريم بهذا النـــداء ((**يا أيها الذين آمنوا ..**)) فى تسعة وثمانين موضعا .. والآيات التسع والثمانون فى جملتها ، تبين أن هناك روحية فعالة ، جعلت منه قوة هائلة .

بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين فى جميع جوانب الحياة .. وهذه الآيات كانت ومازالت أصلا جذريا يمس اساس الأوضاع فى حياة الناس .. والاسلام فيها يراعى حاجة الانسان ومصالحه الحيوية ، فى حدود الحق والفضيلة والعدل .

والاسلام فيها وليد العقيدة التى تطهر النفس ، وتذكى القلب ، وتربى الخلق وتغذى العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطى كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتى وسيره الطبيعى .

والاســـلام فيها : عقيدة اســـتعلاء تبعث فى روح المؤمن الاحساس بالعـــزة من غير كبر ، وروح الثقـــة فى غير اغترار ، والشعور بالاطمئنان من غير تواكل .

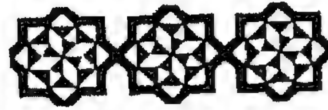
واثر الايمان يبرز بوضوح فى الحضارة الاسلامية التى غيرت وجه التاريخ .

ثانيا : ومن الخصائص البارزة للحضارة الاسلامية ، انهــا تقوم على خلوص النية ، ونقاء الضمير ، والتمســك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الأخلاق هى الارادة المنفذة ، والضمير الموجه وجملة ما يراد أن يقال ان الأخلاق التى جــاء بها القرآن شملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحساس ، والصــدق ، والاخلاص والاستقامة والنظــافة ، والاصلاح ، والاخاء والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، وحسن الضيافة والتضامن ، والتكامل والطهر ، والعفو ، والحب، والشكر ، والتسامح ، والسلام ، ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيدا لتهذيب الأخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث والكذب وشــهادة الزور ، والبطر والجبن والخلاعة ، والميوعة ، والابتذال ، والارتخاص ، والنميمة والسرقة ، والخمر ، والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنابز بالألقاب ، والتدابر ، والتباغض ، فرســالة الأخلاق فى الاسلام اعلاء كلمة الحق واقامة ميزان العدل فى الخلق .

ثالثا : وفى الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبــادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامى ، تستهدف مصلحة الفرد ومصــلحة

الجماعة والموازنة والموائمة بينهما ، وتحدد أهـداف النشـاط الاقتصادى وفقا لمبادىء الاسلام ، وتقرر في وضوح أن الانسـان خليفة الله فى الأرض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه ومن هذا المنطلق الاسلامى كان الاقتصاد فى الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا ترتكز على الفرد شأن الاقتصاد الراسمالى ، ولا على المجتمع شـأن الاقتصاد الاشتراكى فان الاقتصاد الراسمالى يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة .. والاقتصاد الاشتراكى يقوم على حيوانية الانسان ، وقتـل غريزة التملك ، ووأد كل القيم والفضـائل الانسـانية أما الاقتصاد الاسلامى فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع، وتضم هذه الفلسفة المتميزة فى اطارها مطالب المـادة ومشـاعر الروح ، ومكارم الأخلاق .. وفى سبيل هذا الاطـار الاقتصادى المتميز حرم الله الربا والغش والسرقة ، وأكل أموال الناس بالباطل. وقد أثبت التاريخ أن الذين تربوا فى مدارس القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة واعتدل فى ايديهم ميزان الحق والعدل ولقد كانت الأمة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا، وتنتشر فيها أرقى الصناعات على اختلافها ، وما تركه المسلمون من تراث علمى ، لأكبر شاهد على ذلك .



العلم والحضارة

مفهوم كلمة الحضارة مفهوم متطور مع الزمن لاسيما فى تاريخ الحياة العربية . والمفهوم الأصيل لكلمة الحضارة فى اللغة العربية أنها : تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة فى المدن والقرى ، عكسها (البداوة) وهى حياة التنقل فى البادية ، ولقد عرف الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر .

ولكن أول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة الواعية والتسجيل العلمى .. هو عبد الرحمن بن خلدون ، بل ان هذا العالم هو أول من عالج شئون الحضارة العربية بطريقة علمية تحليلية .

على أنه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها : ذلك النمط من الحياة المستقرة والذى يناقض البداوة ، فينشىء القرى والأمصار ويضفى على حياة أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وادارة شئون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية .

اذا كان ابن خلدون بلور هذا المعنى التاريخى واعتبر الحضارة غاية العمران ، فان مفهوم الحضارة فى عصرنا قد امتد

الى ألوان من المعنى هى أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره، وفى بيئته العربية فى انتقالها الاجتماعى والسياسي والثقافى والمدنى من البادية الى الحضر .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ (مدنى) بمعنى (اجتماعى) فان مفهوما آخر ظهر واتصل بها وأصبح الآن يعرف بالمدنية بل ان ابن خلدون ذاته كان سـباقا ايضا فى هذا المجال اللفظى فاستعمل صيغة التمدن وكان يعنى بها (التحضر).

على ان تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت فى بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا فى جهات قليله جدا خارج عالمنا العربى ولذلك فان لفظ الحضارة فى مفهومه العالمى ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح اكثر اتساعا مما كان يدل عليه فى مفهومه اللغوى التقليدى .. واذا كان أصل الحضارة الاقامة فى الحضر . فان المعاجم اللغوية الحديثة ، ترى أن الحضارة هى الرقى العلمى ، والفنى والأدبى ، والاجتمـاعى فى الحضر .. وبعبارة اخرى اكثر شمولا ، هى: الحصيلة الشاملةللمدنية والثقافة والفكر ، ومجموع الحياة فى انماطها المادية والمعنوية ولهذا كانت الحضارة هى : الخطة العريضة ــ كما وكيفا ــ التى يسير فيهـا تاريخ كل امة من الأمم ، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة .. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى ، التى تصور انتقال الانسان أو الجماعات ، من مرحلة الى مرحلة .

والحضارة باختصار شديد هى جملة المظاهر المعنوية التى يخلفها التاريخ والتى تبقى فى المجتمع على مر الأيام دليلا على القدرات الذهنية المميزة ، وتعبيرا عن روح هذا المجتمع والشعب الذى يمثله . ولا شك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتتشكل المظاهر المعنوية فى صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف ، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد فى الآثار والعمائر وأسلوب الحياة وآداب المعاش اليومى وتقاليد المجتمع فى التقارب والتفاهم والتعايش .

والمدنية هى الوسائل والأدوات المادية التى يستعين بها الانسان على تحقيق حضارته وهى العديد من الأشياء والأدوات المادية التى تعين الانسان على التقدم فى مضمار الحضارة ، واذا كانت الحضارة هى الابداع فى مجالات الفنون والمعارف والعلوم فالمدنية هى السبيل الى تذليل الصعاب الحضارية والأدوات المادية التى تبلغ بها الحضارة مستوى الابداع والتقدم وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها أمكنها أن تحقق ألوانا من الفن والابداع الذى تسجله الحضارة فى جملة مظاهرها المعنوية .. وقد تؤدى الماديات المختلفة الى رفع مستوى التقدم الحضارى . وقد تؤدى الى تخلفه وانحداره .

والذكاء الانسانى فى مجال استخدام الماديات هو الحكم فى توجيه هذه الماديات فاما أن يسير بها سيرا حثيثا نحو الابداع

والتألق والتقدم . أو أن يهبط بها الى مجـــال العبث والفســـاد والتدهور .. واما أن تسيطر القيم الروحية العالية على هـــذا الذكاء فتحدد مساره وتربطه بأهداف انسانية عالية .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية ، فان الواقع يبين للبـــاحث والمفكر ، والدارس ، أن الحضـــارة الاسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها ، وأسباب نمائها وازدهارها .. من الاسلام ذاته .. والاسلام كان لايزال دين الحضارة والانسانية ، بمعنى انه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة وانه انشأ لونا من الحضارة ، عرف باسمه ، وهو الحضارة الاسلامية .

وقد قامت الحضارة الاسلامية ، على دعائم أساسية ، جعلت منها حضارة عالميـــة متميزة ، وفريدة فى تاريخ البشرية .. ومن ذلك :

أولا : ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منـــه قوة فاعلة والشىء المهم فى هذه القوة الفاعلة ، انها كانت أصـــلا جذريا .

ثانيا : ان الاسلام كان دين دعوة .. وفكرة الدعـــوة فى الاسلام .. وقد واعمتها ظروف الانتشار فى النطاق العالمى ، وفى ظلال الدعوة المستمرة تمكن الاسلام من نشر طابعه الحضارى ، كعقيدة للحياة ، وان يصبح فى أقل من ربع قرن ، مقوما أساسيا من مقومات الحضارة الانسانية .

ثالثا : كان الاسلام دينا سهلا غير معقد ، ولا مركب فى عقيدته ، وكان فى الوقت ذاته دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة :

« وقال ربكم ادعونى استجب لكم(١) » .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب(٢) » .

ولا نجد عقيدة تطلب من الانسان شهادة أبسط من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها : **« لا اله الا الله محمد رسول الله »** .. عبارة سهلة رائقة .. تقف بالعاقل على عتبة الدخول فى الاسلام، موقفا سهلا والمقوم الأصيل فى هذه البساطة ، أن القرآن الكريم هو الوعاء الأساسى للعقيدة كلها .

رابعا : كان الاسلام دينا رحبا يدعو الى سبيل العقل ، فى حدود أصول العقيدة كما يدعو الى سبيل الضمير ، والحق .. ومن هنا كانت الدعوة الى النظر ، والى المعرفة ، أساسا من أسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة .

والاسلام فى رحابته الحضارية ، استطاع أن يمتص ألوان الحضارات فى البلاد التى أوقد فيها قناديل الضياء وأن يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا .

---

(١) سورة غافر . الآية رقم ٦٠ .
(٢) سورة البقرة . الآية رقم ١٨٦ .

خامسا : البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافى ، قد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ، ما كان لها من طابع ، ومن مكانة .

سادسا : القرآن الكريم ذاته : وذلك ان القرآن كان أعظم ما عرفته الانسانية فى تاريخها الممتد الطويل .. وقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى السليم .

تنشده الانسانية فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية ، والمعاملات الاقتصادية والحربية ، والقوانين المدنية ، والأنظمة الدولية وبعبارة أوجز .. تجد فيه الأمة كل ما تحتاج اليه فى حياتها العامة والخاصة والدين والدنيا .

سابعا : اللغة العربية نفسها كانت دعامة من دعائم الحضارة الاسلامية وذلك لأنها أعرق اللغات منبتا وأعزها جانبا، واقواها جلادة وأغزرها مادة وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول فى النفس .

وعندها من المرونة على الاشتقاق والقبول للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب . ما يمكنها من الاستمرار فى عطائها ، نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد بنيانا ، وأقوى استقرارا ، وبفضل القرآن صارت العربية أبعد اللغات مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تعيشه الانسانية ، واستطاعت العربية فى ظل عالمية الاسلام، أن تتسع لتحط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتقى حتى تصل أرقى

اختلاجات النفس ، وليس هناك معنى من المعانى ، ولا فكر من الأفكار ، ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية علمية من النظريات، تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات ، وتجسيده داخل الكلمات .

ثامنا : وبجانب هذا وذاك ، كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالعصر الذى ظهر فيه الاسلام ثم بالعنصر البشرى.. والتكوين السكانى فأما عن العصر فقد كان الاسلام ختام الأديان السماوية وكان الاسلام بذلك رباطا لها من الناحية التاريخية كما كان فى الوقت ذاته تصحيحا لها ، لما أصابها من تخريف الفلاسفة والوثنيين .

ولقد كان هذا كله ، قوة دفع للفكر الاسلامى ، وما يتصل به من حضارة ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامى على قوة غلبت كل التحديات الجاهلية فانتشر طابع الحضارة الاسلامية على فعالية لم يعرف لها مثيل فى تاريخ الانسانية .

تاسعا : ومما يذكر ان ترسيخ معالم الحضارة الاسلامية ، قد تضاعف بفعل مقوم انسانى آخر ، وهى تنوع السلالات التى دخلت فى الاسلام ، ثم هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل ، وهى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الاسلامية .

.. ومن وراء كل ذلك هناك الايمان بالله فهو القوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من أن يسقط ، وتمسك القوى من أن يجمح ، وتعصم الغالب من أن يطغى ، وتمنع المغلوب من أن ييأس.

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر واعزاز حرية الانسان وكرامته وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس فى ظلال اخاء شامل وعدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأخلاقية السامية .

فان واقع الأمر يبين لنا أن الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها وعناصر وجودها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبقه فى جزيرةالعرب وما جاورها حضارات أقدم منه كما سبقته أيضا فى البلاد التى انتشر فيها ألوان من الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والآشورية والبابلية والاغريقية .

فان الاسلام استطاع أن يضفى على البلاد التى شملها لونا عظيما من الفكر الدينى والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حتى أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المسلمين فى مختلف الأقطار وبلاد الدنيا .

وهذه الحضارة الاسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحى رسالة السماء التى تمدها بالروح والقوة والتماسك

وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن، والبعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة المفسدة .

فهى فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعباد. والتنظيم والتمسك بها تشرع من آداب السلوك والمعاملة .

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل أساليب القوة والمنعة .

وفى نظامها الأخلاقى تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالشرية الى الكمال والسلام .

وفى نظامها الاجتماعى تقوم على الأسرة المتماسكة القائمة على أساس من المودة والرحمة والاخلاص وتعاون المواطنين على الخير والبر وقيام كل راع بمسئوليته .

وفى نظامها الاقتصادى تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

وفى نظامها التشريعى تقوم على أصول رئيسية واسعة وقد تمثلت هذه الناحية فى ثروة الفقه الاسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى .

وفى نظامها الثقافى تعتمد على طلب المعرفة من كل مطلب ممكن، ومن اى مكان واستخدام العقل فى كسب المعارف وتسخير

الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للانسانية ونستطيع أن نصل الى ان الحضارة الاسلامية :

— وصلت بين قديم الحضـــارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة .

— انقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب فى الحضارة واستعباد وظلم اجتماعى .

— أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى اسمى صورها واصفاها ومجتمعا جديدا يقـــوم على التعـــاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع .

— أعطت الانسانية ذخيرة ضخمة من المعارف افـــاد منها الغرب فى عصر الأحياء والنهضة واعتمد عليها العالم العربى فى يقظته الحديثة فى بناء نهضته المعاصرة .

— وضعت بعض أصول المنهج العلمى الحديث — كطريقة الشـــك عند (الغـــزالى) كما فتحت آفاقا جديده فى البحـــوث الانسانية — كفلسفة التاريخ عند (ابن خلدون) وعلم البصريات على يد (ابن الهيثم) وابتدأت مرحلة جديدة فى تطور علوم الرياضة على يد (الخوارزمى) وعصر الخيام .

— ساعدت بآدابها على نهضة الآداب فى اوربا وفتح آفاق جديدة أمام شعراء الغرب وكتابه .

ـ ساعد خلفاؤها وقادتها ـ بسلوكهم الأخلاقى وبنماذج المروءة والشرف التى تحلو بها على اشاعة المثل الأخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم فى السلم أو فى الحرب .

ان من يمعن النظر .. فى أعماق الحضارة الاسلامية ، وما حققته للانسانية من أسباب النمو ، وعوامل الازدهار .. ويلم بما جاء به الفكر الاسلامى ، من مفاهيم تناولت أهم معضلات الحياة .

ان من يتعمق فى ذلك .. يدهشه مدى عمق التفكير الواعى الذى بلغ ذروته علماء الاسلام .. ويتضاعف اعجاب الباحث ، بهذا الفيض الزاخر من الجهود العلمية العظيمة التى ملأت الدنيا. وتزداد دهشة المفكر ، ويتعاظم تمجيده ، لحركة التحول الخطيرة التى أصابت المجتمع العربى ، فى تلك الفتره القصيرة .

ترى .. أى سر هذا الذى استطاع ان يحول عرب الصحراء الى أساطين فى العلم ، ومشاعل فى الحضارة ، وافذاذ فى المعرفة ، ومنارات فى الثقافة ؟ وأى قوة رفعت العرب من حال البداوة التى كانوا عليها ، الى أبطال وقادة ، غير هيابين ولا وجلين .

وترى .. كيف نفسر سرعة تطور العرب من الجاهلية الجهلاء الى الحضارة العلياء فى أقل مدة عرفتها الانسانية ؟ .

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة (سيجريد هونكه) : « ان هذه الطفرة العلمية الجبارة ، التى نهض بها ابناء الصحراء ، من

العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية . فى تاريخ العقل البشرى » .

وليس من المعقول فى نظر المفكر .. والباحث ، والدارس.. ان يظفر الفكر العربى الذى قيدته ظروف الحياة القبلية الآسنة اليبوس ، الى مثل هذه المرتبة العالية ، دون أن تكون هناك الأسباب القوية التى دفعت به الى الحياة المتحركة دفعا .

ومن المسلم به ، انه لم تظهر قبل الاسلام .. أية دلائل على التطور الفكرى من العرب المنتشرين فى الجزيرة العربية .. وكان الشعر ، والخطابة والتنجيم أحب شىء الى عرب الجاهلية .

اذن .. ما هى الأسباب التى استقى منها الفكر العربى ، مادة حيويته ، وتطوره ؟ وما هى الموارد التى نهل منها أسباب تكامله وقوته ؟؟ ..

ان المنبع الأول والأصيل فى كل ذلك .. هو : القرآن الكريم.. وذلك أن القرآن لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب .. وانما كان الى جانب تأكيد وحدانية الله ، وما يتبعها من عقائد ، وعبادات ، وأوامر ، ونواهى كان أعظم الدساتير التى عرفتها الانسانية فى تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن .. وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى الصالح .

ولقد كان اول أثر من آثار القرآن الكريم فى الفكر الانسانى.. اهتمامه الواسع بالعلم .. وذلك أن العلم أساس التقدم والتعاون،

وتبادل الخبرات والمنفعة ، وقد كانت عناية القرآن بالعلم .. تفوق حد الوصف .

تأمل القرآن وتدبر آياته ، تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق ، فى مظاهر الكون وأحداث الماضى .

ولقد اشتمل القرآن على ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، منها سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية .. احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، والأحياء ، والنبات .. والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة ، والوراثة والصحة ، والصحة الوقائية ، والتعدين ، والصناعة، والتجارة ، والمال ، والاقتصاد .. الى غير ذلك من أمور الحياة.. واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام فى المعاملات ، وعلاقات الأمم والشعوب ، فى السلم والحرب ، وفى ساسة الحكم واقامة العدل ، والعدالة الاجتماعية .. وكل ما يتصل ببناء المجتمع .

وهذا كله بخلاف العبادات ، والعقائد ، والتكاليف ، والقصص ، والمواعظ والأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا .. مما كان محلا للدراسة والاستنتاج والتخريج ، والتأصيل ، والبحث ، والتنقيب .. وكان أساسا لعلوم الفقه ، والتفسير ، والحديث والأصول والأخلاق ، والبلاغة ، والأدب.. ذلك أن القرآن من العمق ، والاتساع ، والعموم ، والشمول .. بما يقبل تفهم البشر له .. أيا كان مبلغهم من العلم ، وبما يفى بحاجاتهم فى كل عصر ، ويتجاوب مع أهل البداوه فى يسر ، ويبهر

فى عمقه أهل الحضارة الذين صعدوا فى سلم الرقى وبرعوا فى فنون العلم والمعرفة .

لقد كرم الاسلام العلم ، وحث المسلمين على المزيد فيه ، والاستفادة منه ، لأنه ينير العقول المظلمة ، ويحيى القلوب الميتة ، ويهدى النفوس الحائرة ، ويرقى بالمجتمعات الانسانية ، ويسمو بالقواعد الحضارية . وقد كانت عناية الاسلام بالعلم تفوق حد الوصف حتى ان كلمة العلم بجميع تصريفاتها واشتقاقاتها ترد فى أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن الكريم . وهذا ينبىء عن مكانة العلم فى الاسلام .

والقرآن الكريم نفسه مشتق من القراءة ، والقراءة مفتاح هائل من مفاتيح العلم للانسان ، وطريق دائم للمعرفة . والانسان مهما كان ضعيف العلم والثقافة فانه الى نمو فى الثقافة والعلم مادام يقرأ . . وأول ما نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وحى السماء ، عندما كان يتحنث فى غار حراء ، خمس آيات من القرآن الكريم ، هى قوله تعالى فى سوره العلق :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة العلق . الآيات ١ — ٥ .

ففى هذه الآيات الخمس ، بدأ الوحى الالهى بالقراءة فى أول آية ، وكان ذلك بصيغة فعل الأمر . وقد تكرر الأمر بالقراءة فى الآية الثالثة . وأوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى . وهـو التعليم ، وزاد التأكيد بذكر القلم .

« والتعليم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده . . اذ به تخلد العلوم ، وتثبت الحقوق ، وتعلم الوصايا ، وتحفظ الشهادات ، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس وبذا تقيد أخبـار الماضين للباقى اللاحقين . ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، ودرست السنن وتخبطت الأحكام ، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف . . وكان معظم الخلل الداخل على الناس فى دينهم ودنياهم ، انما يعتريهم من النسيان الذى يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع . كالأوعية التى تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان . فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم . والتعليم به كذلك(١) » .

وقال تعالى فى سورة القلم : **« ن والقلم وما يسطرون(٢) »** فالله يقسم بالقلم والكتب ، فتحا لباب التعليم بهما ، ولا يقسم الله الا بالامور العظام . فاذا اقسم بالشمس والقمر ، والليل والفجر، فانما ذلك لعظمة الخلق ، وجمال الصـنع ، واذا أقسـم بالقلم

---

(١) انظر : تفسير القاسمى ج ١٧ ص ٦٢٠٩ .
(٢) سورة القلم . الآية الأولى .

والكتب ، فانما ذلك ليعم العلم والعرفان وبه تتهذب النفوس ، وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية(١) .

وما أروع لفظ **(وما يسطرون)** حيث يشمل كل فنون الكتابة والتعبير عما فى الضمير بالرسم والتصوير ، ويشمل كل آلة أو نظام استحدث للتوصل الى ذلك من آلات ومعدات حدثت أو ستحدث(٢) .

فانسانية الانسان لا تكمل الا فى ظل المعرفة الصادقة ، والعلم البناء المثمر الذى يوضح المعالم ، ويهدى الى الرشاد . قال على رضى الله عنه :

ما الفخر الا لا أهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

والاسلام يحض المسلمين على طلب العلم ، والتفقه فى الدين، والبحث الدقيق فى كل مجالاته وفنونه وفروعه . وان يتحملوا المشاق فى سبيل تعلمه وتحصيله ، وأن يبذلوا كل طاقاتهم فى طلب المزيد منه . وأن يتعلموا كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكل ما يعود عليهم وعلى الأمة الاسلامية ، والمجتمعات الانسانية بالخير والرقى .. قال تعالى فى سورة التوبة :

---

(١) راجع تفسير الشيخ المراغى ج ٢٩ ص ٢٧ .
(٢) كتاب التفسير الواضح للشيخ حجازى ج ٢٩ ص ١٣ .

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً

فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ

وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (١)

فهذه الآية الكريمة تشير الى ان تعلم العلم أمر واجب على الأمة جميعا وجوبا لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن الاسلامى . فان الوطن يحتاج الى من يناضل عنه بالسيف، والى من يناضل عنه بالحجة والبرهان .

وفى الآية ـ كما جاء فى تفسير المراغى ـ اشارة الى وجوب التفقه فى الدين والاستعداد لتعليمه فى مواطن الاقامة ، وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذى تصلح به حالهم . فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التى يجب على كل مؤمن أن يتعرفها والناصبون أنفسهم لهذا التفقه ، على هذا القصد ، لهم عند الله من أسمى المراتب ما لا يقل فى الدرجة عن المجاهد بالمال والنفس ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ، والذود عن الدين والملة . بل هم أفضل منهم فى غير الحال التى يكون فيها الدفاع واجبا عينيا على كل شخص(٢) .

---

(١) سورة التوبة . الآية رقم ١٢٢ .

(٢) تفسير المراغى ج ١١ ص ٤٨ .

روى البخارى ومسلم وابن ماجة ، عن معـاوية رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) .**

وروى أحمد والطبرانى عن صفوان بن عسال المرادى . قال: اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر . فقلت له يا رسول الله انى جئت اطلب العلم . فقال : **(مرحبا بطالب العلم . ان طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب).**

وروى ابن ماجة عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلى مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى الف ركعة) .**

وروى الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) .**

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (تعلموا العلم . فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنـه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة . لأنه معـالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهـل الجنة ، وهـو الأنيس فى الوحشـة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة والدليل

---

(١) تفسير المراغى ج ١١ ص ٤٨ .

على السراء والضراء ، والسلاح على الأعـــداء ، والزين عند الاخلاء) .

وانطلاقا من تعاليم الاسلام ، ودعوته الى العلم . أدرك المسلمون مبلغ الحاجة اليـــه فى بناء المجتمع ودعم مراكز الأمة . لهذا وجهوا العزائم الى طلب العلوم على اختلاف أنواعها . ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة . ولم تثن عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراوتها ، وبحثوا عنها فى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية واقاموا لها فى كل مدينة منارا عاليا ، وحملوا المشاعل المضيئة الى مشارق الأرض ومغاربها ، ولم يقف المسلمون بجهدهم عند نتاج عقولهم وافهامهم . بل اتجهوا ايضا الى علوم السابقين يدرسون ويبحثون ، فاستخرجوا العلوم من زواياالاهمال والنسيان، وكانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير . واكتمل لهم من ملكة العلوم والفنون فى جيل واحد ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة فى عدة أجيال وفى ذلك يقول بعض العلماء المؤرخين : (ان ملكة الفنون لم يتم تكوينها فى أمة من الأمم الناهضة الا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال والاجتهـــاد . الا العرب وحدهم فقد استكملت لهم ملكة الفنون فى الجيل الأول الذى بدأوا فيه بمزاولتها) .

وتقول الكاتبة الالمـــانية الدكتورة سجريد هونكة فى كتابها المسمى (شمس الله تشرق على الغرب) : ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها ابنـــاء الصـــحراء من العـــدم من اعجب

النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى . فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة فى نوعها .

وان الانسان ليقف حائرا أمام هذه العقلية الجبارة التى يحار الانسان فى تعليلها وتكييفها) .

وقد قام العلماء والمفكرون المسلمون بهذه النهضة العلمية التى تخطت مراحل النهوض فى الأمم . قاموا بها على رغم الأحداث العاتية التى حملوا اعباءها الحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها. لأن الأحداث والحروب وان بلغت من العنف ما بلغت لا تستطيع أن تقف فى طريق العقيدة الصحيحة التى انطوت عليها القلوب وتفاعلت بها النفوس .. ولا ان تمنع العزائم القوية من الوصول الى تحقيق اغراضها وأهدافها .

واستطاع المسلمون فى سرعة لم يعهد لها مثيل فى تاريخ الحضارة ، ان ينتقلوا من امة الأمية الى امة العلم ، والقيادة الفكرية ، وان يصبحوا قادة للفكر ، وروادا للمعرفة والعلوم والفنون . يدرسونها للأجيال المعاصرة كأحسن ما يكون التدريس والتعليم ، وينشرونها فى شعوب كانت تائهة فى عماء الجهل وظلمته ، ويدونونها للأجيال المقبلة كأحسن ما يكون التدوين والتأليف .

وان الأمة التى أكرمها الله بالقرآن ، تتطلع الى غد مشرق بالعلم والحضارة وخير للأمة أن تعمل فى حزم وعزم ، لتحقق الأمجاد وتسعد الأفراد والجماعات .

الأسلوب العلمى

جاء الدين الاسلامى الحنيف برسالة ضخمة لتحرير الانسان من عبودية الانسان للانسان ، وعبودية الهوى ، وعبودية الطاغوت ... ولتعبيد الانسان لله تعالى وحده ، دون أن يشركه فى العبادة شريك : ((**اياك نعبد واياك نستعين**(١))) .

وقد قام الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام بحملة توعية اسلامية واسعة النطاق . تدعو الى عبادة الله ، ونبذ الأصنام البشرية وغير البشرية .

ولم يحاول المسلمون فى يوم ما أن يضايقوا الناس فى عقائدهم أو بلجوئهم الى عقيدة الاسلام قسرا ورغما عنهم . لأن النفوذ الى ضمائر الناس ودخائل نفوسهم بالقوة أمر مستصعب، ولأنه لا يمكن التأثير على أفكار الناس وعقائدهم عن غير طريق الاقتناع الذاتى والأطمئنان .

والاسلام برسالته الضخمة يقر هذه الحقائق النفسية ، ويؤكدها بشكل واضح ((**قد تبين الرشد من الغى**(٢))) .

---

(١) سورة الفاتحة . الآية رقم (٥) .
(٢) سورة البقرة . الآية رقم (٢٥٦) .

ولم تتخذ الرسالة الاسلامية وسيلة لدعوة الناس الى هذه العقيدة الجديدة والفكرة الجديدة على البيئة الجاهلية يومذاك غير التوعية والاقناع ، آداة الدعوة المفضلة فى الاسلام ، وتبديد ظلام الجاهلية التى كانت تحجب الناس عن ادراك قيمهم الانسانية ، وفهم واقعهم البشرى ، وصلتهم بالله تبارك وتعالى(١) .

والصراع بين الأحياء من طبيعـــة الحياة(٢) ، وقوى الشر والالحاد تعمل دون هوادة والمعركة مستمرة بين الخير والشر ، والصراع قائم بين قوى الايمان ، وقوى الطغيان ، والشر جامح ، والباطل مسلح .

ومن هنـــا حرص الاســـلام على ان يكون المسلمون على استعداد لمواجهـــة البـــاطل ، مهما تكن التضحيات فى النفس ، والأهل، والمال .. والمواجهة بين الحق والباطل ضرورة مؤكدة(٣) .

وقد أشــار الى هذا القرآن الكريم . فقال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ

---

(١) رسالة الاسلام . السنة ٣ العدد ٥/٦ ص ٥ العراق .

(٢) وقد ثبت بالتجربة واستقراء التاريخ ان الصراع امر لابد من وقوعه بين الناس مهما ارتقت أفكارهم ، أو تقدمت وتطورت معارفهم وحضارتهم والدليل الواضح على ذلك . ما يقع بين الامم من الحروب العالمية . وهذا التســـابق المحموم من اسلحة الفتك والدمار والخراب رغم ما وصلوا اليه من العلم والحضارة المـــادية والتقـــدم .

(٣) أحمد عبد الرحيم السايح . اضواء على الحضـارة الاسلامية ص ١٧٩ ط دار اللواء بالرياض السعودية .

وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (١)

فليس بامكان الدعوة الاسلامية أن تشق طريقها الى أسماع الناس وقلوبهم ، وتخرق الحجب الكثيفة التى حاكتها الجاهلية حولهم لتحجب النور عنهم .. دون أن تضع حدا للتحرشات التى كان يقوم بها أقطاب الجاهلية بين حين وآخر ، لصد الدعوة الاسلامية وعرقلة سيرها حتى يتاح لها أن تأخذ طريقها الى قلوب الناس .

وفى مثل هذه الظروف لا يمكن أن تقف الدعوة الاسلامية مكتوفة الأيدى وهى تحمل للانسانية أكبر رسالة لتحرير الانسان على وجه الأرض .. فحتمية المواجهة تقتضى ضرورة الاستعداد. وليس شرطا أن ينتظر المسلمون حتى يروا امارات الشر والعدوان. وانما على المسلمين أن يدركوا طبيعة الحياة من واقع الناس ، فيبذلوا قصارى الجهد فى اعداد القوة والى هذا يوجه القرآن الكريم المؤمنين بقوله تعالى :

---

(١) سورة الحج . الآية رقم ٤٠ .

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١)

فالاستعداد بما فى الطوق هو فريضة الجهاد فى الاسلام ، واعداد القوة فى الاسلام والتى جاء الأمر بها ليس المقصود بها اعداد قوة مماثلة لقوة الأعداء ، لأن فريضة الجهاد فى الاسلام لا تنتظر حتى يتم اعداد قوة مماثلة لقوة العدو ، لأن ذلك قد يطول .

لقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أن أصحابه أصبحوا قوة ، من النظام الذى بثه فيهم ، والروح المعنوى الذى نماه فى نفوسهم ، واجتماع الكلمة ، وحب الاستشهاد فى سبيل الله . بحيث يستطيع أن يلقى بهم أقطاب الجاهلية وسادة الجزيرة العربية فى أول معركة منظمة . ولو لم يكن يعلم بذلك ، وكان يخشى لقاء قريش مجتمعة فى بدر لذهب الى طريق الشام يلقى غيرها ، ولكان ذلك أهون عليه . لأنه يلقاها فى مكان أبعد عن مكة من

---

(١) سورة الأنفال . الآية رقم ٦٠ .

المكان الذى لقيها فيه . فهو اذن لم يقصد قافلة التجارة لذاتها ، ولكنه أحب أن يلقى معها جيش قريش(١) .

والرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ـ فضلا عن ايمانهم العميق بالله ، وتوكلهم عليه ، واعتقادهم أن النصر من عنده سبحانه وتعالى ـ كانوا يأخذون بالأسلوب العلمى فى كل ما يخوضون من معارك . ففى غزوة بدر نجد أنه صلى الله عليه وسلم استعمل اسلوبا علميا دقيقا .

حيث تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى بدر بكتيبة ليس لها من معدات الجيوش مالقريش . فقد كانت الخيالة فيها لا تزيد على فارسين فى رواية ، وثلاثة فرسان فى رواية أخرى . ولم تكن لها دروع ولا أسلحة غير السيوف . بل لم يكن لها ما يكفى من الابل لحمل العتاد والرجال . هذا على حين كان لقريش العدد والعدة . فكان عدد فرسانها مائة فارس ، وكان مشاتها ثلاثة أضعاف المشاة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان معها من الابل ما يكفى لأن يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم . وكان كل ما يعرف من أنواع السلاح اذ ذاك متوفر لها بسبب ثرائها ، واستعدادها الدائم للحرب ، وخصوصا هذه المعركة .

---

(١) الاستاذ عبد الرحمن عزام « بطل الأبطال » ص ١٣٥ الطبعة الخامسة السعودية .

ولكن شيئا آخر عظيما كان متوافرا لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعاضوا به عما كان ينقصهم من القوة والعدد. أما هذا الشيء العظيم . فهو أمور ثلاثة :

الأول : النظام . فان اهتمام التربية الاسلامية بتنشئة اتباعها على العبادة الخالصة ، وتلقين عقيدة التوحيد ، وارجاع الأمر الى الله مع حسن العمل ، والايمان بالمساواة فى عمل الدنيا والآخرة ، وايثار الشهادة فى سبيل العقيدة على الحياة والأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الله والرسول واولى الأمر منهم .. ان هذه التربية قد أحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل . تلك هى قوة النظام التى رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين .

والثانى : القوة المعنوية التى ملأ بها الاسلام نفوسهم فانهم دون مشركى العرب كانوا يؤمنون بالبعث ، فهم لذلك لا يرون فى الموت فناء مطلقا . بل يرون أن وراء ادراك فضل الشهادة حياة أبقى وأسعد من هذه الحياة .

والثالث : وحدة القيادة . فقد كان المسلمون ممتازين بها ، يتفانون فى الاخلاص والطاعة لقائدهم ، وذلك من الأمور التى ضاعفت قواهم(1) .

---

(1) الاستاذ عبد الرحمن عزام « بطل الأبطال » ص ١٣٦ الطبعة الخامسة السعودية .

وكان صلى الله عليه وسلم يرسل العيون ليعرف أخبار العدو . وكان يخرج بنفسه ليعرف الأخبار . وكان لا يتعصب لرأى ولو كان هذا الرأى رأيه . وهذه الصفة من أبرز صفات القائد الناجح ، لا هم له الا النصر . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل . أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

قال : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » . فقال : يا رسول الله : فان هذا ليس بمنزل . فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد أشرت بالرأى) ونفذ ما أشار به رضى الله عنه(١) .

ورغم أن بدرا تعد أول غزوة من غزوات المسلمين . ورغم انها المرة الأولى التى يقف فيها الرسول الكريم موقف المحارب .

فان الباحث والدارس يستخلص من هذه الغزوة دروسا حربية لها قيمتها العلمية فى مجال الحرب . ويستخلص أيضا مبادىء خطيرة لها شأنها . ورغم اختلاف العصر الذى نعيش فيه ، والعصر الذى تمت فيه معركة بدر الكبرى ، فان هذه المبادىء لم تتغير ، ولم تتبدل ، لأنها الأساس السليم لكل حرب فى كل عصر . ومن أهم هذه المبادىء :

---

(١) ابن هشام « سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ج ٢ ص ٤٥٢ .

١ ـ الاستكشاف والاستطلاع :

ونلاحظ أن الرسول عليه الصلاة والسلام اهتم اهتماما بالغا بالاستكشاف والاستطلاع . وانه كان يقوم بنفسه تقديرا منه للنتائج الخطيرة التى تترتب على الاستكشاف السليم الصحيح .

كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يختار من يثق بهم لأداء هذه المهمة الخطيرة وتنظيم القناصة واختيار الصالحين لهذه العملية ، وعدم فرض فرد معين للقيام بهذا العمل الذى يحتاج الى روح عالية ورغبة اكيدة(١) .

٢ ـ سرية التحرك :

وتكتيك الحرب يبدو واضحا فى السرية التامة فى التحركات وخاصة فى العمليات . فاحتلال المسلمين لمواقع المياه تنفيذا لرأى الحباب بن المنذر تم فى منتصف الليل حتى لا يشعر بهم العدو ، والرسول كان يأمر جنده بأن يظلوا فى أماكنهم لا يتحركون أو يتحدثون أو يأتون بما يثير انتباه اعدائهم . وكانوا بذلك يتركون عدوهم يتقدم ويتقدم ، ويظل فى تقدمه حتى اذا أصبح فى مرمى النبال القوها عليه ، فتصيب منه العدد الكبير ، فوق ما تحدثه المفاجأة فى نفسه فيرتبك ويضطرب وتكثر اصاباته ، ويزيد عدد قتلاه(٢) .

---

(١) الادارة العامة للدعوة « الدين والحياة » ع ٩٩ ص ٣٣ وزارة الأوقاف ص ١٣٧ بتصرف . القاهرة .

(٢) محمد فرج « العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول » ص ١٣٥ — المصرية .

٣ ــ رفع الروح المعنوية :

والقوة المعنوية للمحاربين هامة جدا ، والقوة المعنوية هى العامل الأساسى الذى دفع بالمسلمين الى النصر رغم قلة عددهم وكثرة عدوهم .

٤ ــ الشـــورى :

والشورى مبدأ من المبادىء الاســلامية الهامة ، اهتم به الاسلام وحرص عليه ، وأكده ، ودعا اليه ، وأوجب على المسلمين العمل به ، بحيث أنهم لا يقدمون على أمره ، ولا يعملون عملا الا بعد التشاور فيما بينهم . فان فى ذلك الفة للجماعة وسببا الى الصواب ، واستخراجا للوجه الصالح الذى تستلزم به الجماعة ، فتهتدى الى الحق ، وتحقق لنفسها العزة والتقدم . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (ما تشـــاور قــوم قط بينهم الا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم)(١) . والقائد الحـكيم هو الذى يستشير جنده وخبراءه ليعرف منهم الخطة السليمة الصحيحة التى تؤدى الى النصر .

٥ ــ القضاء على اقتصاد العدو :

ولا شك أن القضاء على قوة العدو الاقتصادية قضاء على القوة العسكرية . ولقد أدرك الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد عن الحسن .

واهتم به اذ يثبت هذا الاهتمام من الغزوات الأولى والسرايا التى بعث بها الرسول قبل معركة بدر فقد كان من الأهداف القضـــاء على تجارة قريش ، وتهديد القوافل .

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يستعمل الأسلوب العلمى وهو فى قلة من أصحابه فقط وانما استعمله أيضا فى كثرة ومنعة من أصحابه . ولقد ظهر هذا واضحا حينما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام تجهيز الحملة الى مكة ، وقرر أن توضع خطة الاستيلاء عليها على أساس عدم اراقة دماء ، ولهذا اعتمدت الخطـــة على المفاجأة اى مباغتة القوم فلا يجدون لهم دفعا فيسلمون دون اراقة الدماء . وبلغ حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على اخفاء تحركاته الى مكة انه دعا الله عز وجل أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش حتى لا تعرف شيئا عن تحركه . (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها) كما أمر الرســـول بحراسة الطريق الى مكة ، والتحفظ على كل من يستراب فيه .. وان الأسلوب العلمى فى غزوة الفتح يقـــدم للتاريخ العســـكرى والعسكريين دروسا هامة ، نذكر منها ما يأتى :

١ ــ أن الرسول عليه الصلاة والسلام راى أن فى ذلك المد تعطيلا للغرض الرئيسى الذى يهدف اليه ، ولهذا رفض الرسول دعوة أبى سفيان بمد مدة العقد أو العهد . ومن ذلك ايضا ان الرسول عليه الصلاة والسلام قرر عند وضع خطته ان يدخل مكة دون قتـــال أو اراقة دماء . واصدر اوامره هذه الى قادة الفرق

التى أعدت لدخول مكة . فلما شاهد عليه الصلاة والسلام خالدا وهو يحارب فى الجبهة الجنوبية ، غضب ودعاه الى ايقاف الحرب، حتى اذا علم بما قويل به خالد من المقاومة قال : (ان الخيرة فيما اختاره الله) .

ومن ذلك أيضا : ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يسعى الى نشر الاسلام وقيامه على انقاض الوثنية وعبادة الأصنام، ولهذا فعندما دخل مكة لم ينس الغرض الرئيسى الذى يجاهد من أجله ، ولهذا حطم الأصنام فى الكعبة ، ثم أمر بهدم كل صنم فى داخل البيوت **(من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى داره صنما الا حطمه)** . ولم ينس الرسول عليه الصلاة والسلام الأصنام التى كانت تعبد خارج مكة فبعث السرايا لهدمها . وللدعوة الى عبادة الله الواحد القهار(١) .

٢ ـــ المفاجأة أو المباغتة : لوحظ فى هذه الغزوة ان الرسول عليه الصلاة والسلام قرر مباغتة قريش رغبة منه فى عدم اراقة الدماء أو اثارة القتال ، ولهذا فانه دعا الى الاعداد للحملة فى سرية تامة . وذلك بأن دعا الله أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى لا تعرف شيئا عن تحركاته . بأن أصدر أوامره بمراقبة الطرق الى مكة ، والتحفظ على من يشك فيه ضمانا لعدم نقل أو وصول أخبار تجمعاته وتحركاته الى قريش . ولما عرف الرسول عليه

---

(١) الدين والحياة ع ٩٩ ص ٣٨ ط وزارة الأوقاف المصرية .

الصلاة والسلام برسالة حاطب أرسل ثلاثة من رجاله حتى عثروا على الرسالة ، وأعادوا المرأة الى المدينة .

ولضمان تحقيق رغبة الرسول فى دخول مكة فجأة وبسرعة وبدون قتال ، حشد الرسول عليه الصلاة والسلام قوات كثيرة ليدخل بها مكة . وكان الرسول يرى فى هذا الحشد الكبير تفتيتا لقوة قريش ، واضعافا لرغبتها فى القتال ان رغبت .

٣ — الحرب النفسية : لقد اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام اهتماما بالغا بها . فقد علم اهمية الروح المسيطرة على المحاربين فى الميدان . ولهذا دفع بالعباس رضى الله عنه على بغلته البيضاء ليكون سفيرا له يحمل الى قريش أنباء الجيش الكبير القادم اليهـا .

ولما جاء العباس بأبى سفيان طلب منه الرسول أن يأخذه الى مكان ضيق فى الجبل ليرى الجيش ، وليعرف قوته ، وليلمس بنفسه ما تجنيه قريش على نفسها . لو أنها قررت القتال والمقاومة. وكان للحشد الهائل الذى أعده الرسول صلى الله عليه وسلم أثر كبير فى نفسية أبى سفيان ، حتى أنه اعترف بالنبوة واعلن اسلامه. ثم أسرع الى قريش يدعوها الى التسليم(١) .

---

(١) الأستاذ محمد فرج (العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ص ٢١٠ — ص ٢٢٤ بتصرف .

فالباحث فى التاريخ الاسلامى يرى أن الاسلام اهتم بالدعوة الى الأسلوب العلمى فى المعارك . لأن ذلك مما يرفع معنويات الجند ، ويزيد من صمودهم . قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنفال . الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة الأنفال . الآيتان ١٥ ، ١٦ .

واذا كان الثبات والصبر من أهم عوامل النصر ، فان من ألزم لوازم ذلك حرص أفراد الجيش على تنفيـــذ ما يوكل اليهم بمنتهى النظام والدقة والتعاون حتى يبـــدو الجيش كله بنيـــان مرصوص قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

ومن أهم خصائص المؤمن الحذر والتحفظ والحيطة . لأن هذه الخصائص فى الواقع اعتراف من الانســـان بسنة الحياة ، واحترام منه لنظام الأسباب والمسببات الذى خلقه الله . قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ (٢)

فالحذر المقصود هو الحذر النافع الذى يحمى الانسان من الأضرار حتى يصل الى أغراضه المشروعة التى تخدم أمته ودينه

---

(١) سورة الصـــف . الآية ٤

(٢) سورة النســـاء . الآية ٧١ .

ووطنه .. وانه لأمر طبيعى أن يحذر الله سبحانه وتعالى أهل الايمان من الأسباب الضارة من ضعف أو غفلة ، أو غرور أو غير ذلك . ومن أخطر أسباب الهزيمة التى يحذر القرآن المسلمين منها أمران :

الأمر الأول :

أن تصاب الأمم والجماعات الانسانية بخلل فى تقييم الأمور ووزنها ، حيث تقدم المصالح الشخصية والرغبات الدنيوية على حب التضحية بهذه المصالح من أجل حق زائل ، على الجهاد فى سبيل الله ، فى معركة الصراع بين الحق والباطل . والى هـذا المعنى يشير القرآن الكريم فى صراحة وحسم فيقول تعالى :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

---

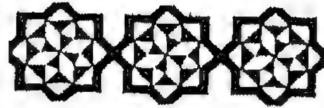
(١) سورة التوبة . الآية ٢٤ .

والأمر الثانى :

وهو من أخطر أسباب الضعف أن ينصرف المسلم عن الارتباط بأمته الاسلامية فى مقاصدها وأهدافها ووسائلها . وقد يصل الخطر الى حد الافتتان بأعداء الاسلام من أهل البغى والطغيان . وقد حذر الله سبحانه وتعالى من هذا السلوك الضار تحذيرا شديدا قال تعالى :

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١)

وهكذا تبلغ درجة التحذير أن تتداخل تحذيرات متعددة بعضها مع بعض فى آية واحدة . مما يدل دلالة صريحة على خطورة هذا العقل فى الحاق الأذى والضرر بالأمة الاسلامية .



---

(١) سورة آل عمران . الآية رقم ٢٨ .

المسلمون و الحضارة

لم يخلق الله ، سبحانه وتعالى ، الانسان ، فى هذا الكون .. ليعبث أو يلهو أو يلعب .. أو ليطغى بقوته وجبروته ، أو ليعيش فى أحضان الجهل والاتكالية والاستجداء .

قال تعالى فى سورة المؤمنون :

« أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون »(١) .

وقال تعالى فى سورة الملك :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور »(٢) .

وانما خلق الله سبحانه وتعالى ، الانسان وركب فيه ما ركب، من قوى الادراك والعمل لحكم سامية .. منها : ليكون خليفة فى الأرض يعمل على اصلاحها واتساع عمرانها واظهار اسرار خالق الكون فيها ، وتدعيم أواصر الخير ، واقرار السعادة ، فى جميع أرجائهـا .

---

(١) سورة المؤمنون . الآية رقم ١١٥ .
(٢) سورة الملك . الآيتان ١ ، ٢ .

وقد ارشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن الكريم .. منها قوله تعالى ، فى سورة البقرة ، وهو يحدث عن مبدأ خلق الانســـان :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة . الآية ٣٠ — ٣٣ .

فهذه الآيات توحى بأن العلم أساس الحياة ، وسر النجاح ، فالخلافة فى الأرض والسيطرة عليها ، وتسخير ما فيها ، واستغلال خيراتها ، وثمراتها وطيباتها أساس ذلك كله العلم لا غيره .

واذا كانت هذه هى مهمة الانسان فى الحياة ، وهى حكمة خلقه ، وحكمة الانعام عليه ، بقوى العلم والعمل ، وحكمة تسخير الكون واخضاعه له فى التفكير والتصريف .

فلا سبيل الى قيام الانسان بهذه المهمة ، وتحقيق تلك الحكم الا بالعلم والمعرفة والعمل .

ولم يكتف الاسلام بهذا .. بل فتح مجال العلم ، للعقل الانسانى ، وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به فى أسرار الحياة. قال تعالى فى سورة عبس :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة عبس . الآيات ٢٤ — ٣٢ .

وقال تعالى : فى سورة الطارق :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى فى سورة الحجر .

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢)

هذه الآيات وما جرى مجراها ، قد فتحت للعقل الانسانى ، آفاق الـكون وبينت له طريق التأمل والمشاهدة والتفكير ، فى ملكوت السموات والأرض ، لاستنباط الحقائق وما يفيد المجتمع الانسانى ويعود عليه بالنفع والأمن .. وتلك دعوة صريحة الى العلم حظيت بها الانسانية ،منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، دعوة صريحة صادقة الى اتباع الأسلوب العلمى والمنهج القائم على التكامل والصدق والاخلاص .

---

(١) سورة الطارق . الآيات ٥ — ٧ .
(٢) سورة الحجر . الآية رقم ٢٢ .

والاسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة . وهذه الوثبة الهائلة كانت على أثر اشعاع القرآن الكريم ، فى جنبات الدنيا والانسانية فأنارهما بعد ظلمة ، وهدى الانسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتتاق ، وأزال الأصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر .

وكان من ذلك أن نبه على وجوب النظر فى الكون العام ، وفى النفس الانسانية وفى الأسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول .

فكان بهذا مصباحا أضاء الدنيا وأنار أفق الانسانية ، وأشرق بالمعرفة الصحيحة .

والباحث المنصف يرى أن الاسلام فى وثبته : تلك ، قد وضع اسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير .

والمعرفة فى الاسلام ، لا تقوم على نظرية تحتاج الى دراسة وتأمل وانما على أساس التعادل بين الكم والكيف ، وبين المادة والروح ، وبين الغاية والسبب ، وبين الدنيا والآخرة .. فلا افراط ولا تفريط ، لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم والوجدان النقى ، وكل ما جاء فى القرآن الكريم فى الحث على التفكر ، دليل على مكانة العقل ، والعلم ، والمعرفة فى نظر الاسلام . اذ العقل آلة التفكير ، والعلم ثمرة التفكير . فكل ما ورد فى القرآن ، حث على التفكير ، وهو اعلان عن فضل العقل،

وايحاء بالعمل على تربيته وتقويته ، وهو فى الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم .. حتى يتمكن الانسان من الحقائق وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رق الأوهام ، والخرافات والأساطير التى لا صلة لها بواقع الحياة .

وبهذا كان الاسلام دين الفكر ، والعقل ، والعلم .. وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير وجعله ميزة الانسان .

قال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (١)

وبناء على التوجيهات القرآنية ، للناس بالنظر والدراسة .. انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ويقارنون ، ويغربلون ، ويقعدون القواعد ، ويؤصلون الأصول .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية ، على أصول ومبادىء عامة صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليما ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة . واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين ، من الاستفادة من تلك الدرة الالهية ، التى

---

(١) سورة الحج . الآية رقم ٤٦ .

منحها الله للانسان ، وهى العقل ، فنمته ، وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التى خلق من أجلها . حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات حضارية عالمية لن ينسى التاريخ دورها فى تحويل مجرى الانسانية ، ولن تنسى الانسانية دور المسلمين فى بناء الحضارة بأصالة وعمق وفاعليه .

كانت هناك تشريعات ، وفلسفة ، وقوانين ، وطب ، وفلك، وأدب ، واجتماع ورياضيات ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وفنون جميلة، وآداب للسلوك والاجتماع .

وكان لكل هذه العلوم والفلسفات ، أساتذة عباقرة ، كائمة الحديث ، ورجال الفقه الذين ضبطوا أساليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع .. وفوق هذا وذاك .. فقد كان المسلمون هم واضعو طرق البحث العلمى التجريبى الذى كان أساسا للحضارة الأوروبية الحديثة ، ويكفى فى هذا أن نستشهد باعتراف العلامة (بريفولت) :

« ان الأوربيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمى التجريبى وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصيلة ، واستقرت دعائمها فى نفوسهم فكانت الرائد الأمين للعقول والافهام ، والغذاء الروحى للغرائز والمواهب . وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الارادة ، وحرية الفكر ، كما كرهت اليهم التقليد والتبعية

العمياء ، ووجهت العقول للبحث والانتاج .. وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون .. فأقبلوا عليها سراعا .. ودخلوها من كل باب. وبهذه النهضة العلمية الجبارة استطاع المسلمون فى سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا الى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا وعباقرة العلوم .. وكان وأصبح هناك قادة وحكام ، ومدن وعواصم ومعاهد وجامعات ودول وممالك لم يشهد التاريخ لها مثيلا .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التى غرسها الاسلام ، والتى أدت الى تنمية القوى العقلية الكامنة فى الانسان ، والتى جعلت من المسلمين أساتذة للعلوم وكانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية فيأخذون عن علمائها ما شاءوا من افانين العلوم . والوان المعرفة ثم يعودون الى بلادهم حاملين اليها مشاعل هذه العلوم التى نفخت فيهم روح الحياة ، وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصلين عظيمين من أصول الاصلاح الاسلامى . وهما :

حرية الفكر .. واســـتقلال الارادة .. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل .. الا بعد أن عرفت أن لها حقا فى طلب الحقائق .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية .. فاستقت من روافدها المعرفة ، والفلك والجبر والهندسة ، والكيمياء ،

والطب ، والفلسفة ، وعلوم النبات ، والحيوان وسـائر أنواع الفنون الحضارية .

وبنى رجال أوربا ، بما تعلموه فى معاهد المسلمين بالأندلس، وربما نقلوه من علوم .. أسس النهضـة الحديثة ، التى ظهر نجمها فى القرن الثامن عشر . وازدهر فى القرن التاسع عشر وتألق فى القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذى خرج جهابذة الفكر ، ورجال الحضارة أمثال ابن الهيثم ، وابن البيطار ، وابن سينا ، وابن النفيس ، وابن زهر وابن بطوطه والكندى ، والفارابى ، والبيرونى ، والطوسى ، والدينورى ، والبغدادى ، والفيروزابادى، والامام الغزالى ، والطبرى والرازى ، والانطاكى ، والخوارزمى، والادريسى ، والمسعودى ، وجابر والجاحظ ، وغيرهم ممن أفادوا الانسـانية .

وهذا ابن الهيثم يبحث فى السهل والأودية ، ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلى يسهر على قمم الجبال العالية ، يحدق فى الكواكب والنجوم ليحدد أفلاكها ، ويعرف أبعادها ، ويقيس محيط الكرة الأرضية ، وعبد الله الخوارزمى العالم المسلم الذى ولد فى اقليم خوارزم(١) أول رجل فى العالم يضع أصـول علم الجبر

---

(١) اقليم خوارزم هذا من الاقاليم الاسلامية التى كانت عامرة بالعلم والعلماء وهو الآن تحت الاستعمار الشيوعى الروسى .

وفى كتابه « الجبر والمقابلة » يقسم العلماء الى ثلاثة : « فمنهم المخترع المبتكر الذى يسبق اليه ، ومنهم الذى يتناول أراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم المخترع المبتكر الذى لم يسبق اليه ، ومنهم الذى لم يكلف نفسه أكثر من جمع المتفرق » .

وأبو الريحان محمد البيرونى الذى ولد فى بيرون ، وهى مدينة صغيرة تتبع مدينة خوارزم . يســـاهم فى الفلك والرياضيات ، بمساهمات فعالة .

وابن النفيس العالم الدمشقى ، يجرى التجارب والاختبارات، حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا فى الأوردة والشرايين . بل هو سائل متحرك يدور فى جميع اجزاء الجسم ، وذلك قبل أن يكشف العالم البرتغالى **(هارفى)** الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مســـكويه ذلك المفكر الاســـلامى الكبير الذى طرق الدراسات الأخلاقية والنفسية يسبق فلاســـفة اوربا ، وعلمائها بثمانية قرون فى علوم الأخلاق والفلسفة والتهذيب والنفس .

وجابر ابن حيان يحلل عناصر الطبيعة ، وتفاعل المـــواد المختلطة ، حتى يضع أصول علم الكيماء .

وابن يونس يسبق العلماء فى اختراع بنـــدول الســـاعة (الرقاص) .

هذا كله فى الوقت الذى كانت فيه أوربا ، تعيش فى ظلمات الجهل والفوضوية والأمية والهمجية والتأخر ، ولم ينقذ أوربا من ورطتها التى كانت واقعة فيها الا حضارة المسلمين ولازالت اسماء العلوم والمصطلحات التى أعطاها هـؤلاء المسلمون ، لغرائب المخترعات مازالت حية نابضة ، فى جميع اللغات ، رغم ما نالها من تحريف وتغيير .

ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة الاسلامية ، وشهد بها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه ، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة العلم فى ذاته .

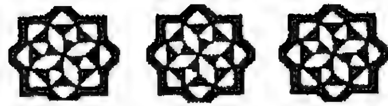
تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة : « ان أوربا تدين للعرب ، وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات ، للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة ، دريبر « المدرس فى جامعة (هارفارد) بأمريكا . فى كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : (ان نتائج هذه الحركة العلمية ، تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصناعات فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات ، وسنن النظم الزراعية الحكيمة ، وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن .. وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن ، ويجودون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه ، من سبكها وصنعها ، واننا لندهش حين نرى

فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر .. وان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

ان هذه الأقوال التى جاءت على لسان علماء أفذاذ لمرضاة العلم فى ذاته تشهد صراحة وضمنا ، وجملة وتفصيلا ، لحضارة المسلمين ، ومدى فاعلية هذه الحضاره الاسلامية الانسانية .

وان الأمة الاسلامية يمكن أن تعود الى بناء حضارتها المتميزة وشخصيتها الاسلامية الفريدة .



بين الفلسفة والإسلام

المعـــرفة :

أدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره .. والمعرفة أخص من العلم، ويقال فلان يعرف الله .. ولا يقال يعلم الله ، متعديا الى مفعول واحد .

وعرفه يعرفه معرفة وعرفانا ، فهـــو عارف .. والعـلم والمعرفة ، يفرق بينهما من جهة اللفظ ، ومن جهة المعنى .

أما اللفظ : ففعل المعرفة يقع على مفعول واحـــد . قال تعالى : ((**فعرفهم وهم له منكرون**(١))) .. وفعـــل العلم يقتضى مفعولين كقوله تعالى : ((**فان علمتموهن مؤمنات**(٢))) واذا وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة كقوله تعالى : ((**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**(٣))) .

وأما الفرق من جهة المعنى فمن وجوه :

احدها : أن المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعـــلم يتعلق بأحوال الشيء ، فتقول : عرفت أباك وعلمته صالحا ، ولذلك جاء

(١) سورة يوسف الآية رقم ٥٨ .
(٢) سورة الممتحنة الآية رقم ١٠ .
(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٦٠ .

الأمر فى القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة كقوله تعالى : ((**فاعلم انه لا اله الا الله(١)**)) فالمعرفة : تصـــور صورة الشىء ، والعلم حضور أحوال الشىء وصفاته ، والمعرفة نسبة التصور ، والعلم نسبة التصديق .

ثانيها : ان المعرفة فى الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه ، فاذا أدركه قيل عرفه ، أو تكون وصف له بصفات قامت فى نفسه ، فاذا رآه وعلم انه الموصوف بها قيل : عرفه . قال تعالى: ((**وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون(٢)**)) .. فالمعرفة نسبة الذكر فى النفس ، وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر . ولهذا كان ضدها الانكار ، وضد العلم الجهل .. قال تعالى : ((**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها(٣)**)) .

ويقال عرف الحق فأقر به ، وعرفه فأنكره .

ثالثها : ان المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره ، والعلم يفيد تميز ما يوصف به عن غيره .

رابعها : انك اذا قلت علمت محمدا لم تفد المخاطب شيئا ، لأنه ينتظر أن تخبره على أى حال علمته .. فاذا قلت كريما أو شجاعا ، حصلت له الفائدة .. واذا قلت عرفت محمدا ، استفاد المخاطب انك أثبته وميزته عن غيره ، ولم يبق ان ينتظر شيئا آخر.

---

(١) سورة محمد الآية رقم ١٩ .
(٢) سورة يوسف الآية رقم ٥٨ .
(٣) سورة النحل الآية رقم ٨٣ .

خامسها : ان المعرفة علم يعين الشيء مفصلا عما سواه ، بخلاف العلم فانه يتعلق بالشيء مجملا .. والفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين ان المعرفة هى العلم الذى يقوم العالم بموجبه ومقتضاه فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده(١) . ولكن اذا كانت المعرفة لها كل هذا ، فهل هى فطرية ؟ أم مكتسبة ؟ أم مزيج ؟ ..

فى هذا تحصل للدارسين والباحثين ثلاثة آراء ، ولكل راى من الأدلة والبراهين ما ينهض مدعما له :

أولا : يقرر كثير من رجال الفكر الفلسفى ان المعرفة الانسانية جميعها مكتسبة وان طريق اكتسابها الحواس .

ويرى الفلاسفة : اننا ندرك الأشياء عن طريق الحواس ، فالشخص الذى يولد أصم لا يمكن أن يعرف الأصوات وهى موضوع السمع .

وكذلك الشخص الذى يولد أعمى لا يمكن أن يعرف الألوان. فنحن ندرك الأشياء الخارجية عن طريق الحواس : البصر أو السمع أو اللمس أو الشم .

---

(١) راجع بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى .. الجزء الرابع ص ٤٧ طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة . وانظر مقالنا « المعرفة فى ظل الاسلام » فى مجلة قافلة الزيت ع ١١ ص ٢ مجلد ٢٠ السعودية ١٣٩٢ هـ .

وبمعنى آخر :

ان الأجسام الخارجية هى مجموعة من الاحساسات .

أو بمعنى ثالث :

نحن لا ندرك الأشياء الخارجية ، وانما ندرك أنفسنا ، لأننا لا يمكن أن نعرف الشيء الخارجى كهذا الكتاب الا عن طريق هذه النوافذ التى تطل منها على العالم الخارجى .

وعن طريق هذه الاحساسات التى تتجمع وتنتظم بعد نفاذها من هذه النوافذ « الحواس » نعرف الأشياء .. فأننا لا أعرف الكتاب ، وانما أعرف الاحساسات الموجودة فى عقلى عن هذا الكتاب .

معنى ذلك :

ان هناك عقلا يتلقى هذه الاحساسات ، وان العقل كالصفحة البيضاء يتلقى الاحساسات فتكون المعرفة .

ثانيها : وقالت فئة أخرى : ان المعرفة فطرية بمعنى ان الانسان يولد ونفسه عالمة بكل شيء ، لأن النفس قبل اتصالها بالبدن كانت تعيش فى عالم المثل فاطلعت على كل شيء وعرفت كل شيء ، ولما اتصلت بالجسد نسيت ... وبمعنى آخر أن الانسان يولد ونفسه قد فطرت على معرفة الأشياء .. فاذا عرفت النفس شيئا ، أو ادرك الانسان شيئا ، فانه فى الواقع لا يدرك شيئا جديدا ، ولا يكتسب معرفة جديدة ، ولكنه يتذكر ما كان يعرفه

فى عالم المثل .. وهذا تفسير قول (أفلاطون) : « العلم تذكر ، والجهل نسيان » ولعل بعض الآراء فى التصوف تنحو هذا النحو ، وتزعم امكان المعرفة بغير الحواس(١) .

ثالثا : ويذهب آخرون الى ان العقل البشرى بطبيعته يحتوى على جزء من المعرفة الفطرية ، يضاف اليها جزء آخر مكتسب .

واختلف العلماء فى هذا الجزء الفطرى .. فقال بعضهم : ان المعرفة البديهية ، هى المعرفة الفطرية مثل : الكل أعظم من الجزء .. ويذهب « كانت » الفيلسوف الألمانى الى أن العقل البشرى حين يكتسب المعرفة المحسوسة للأشياء الخارجية يضيف اليها شيئا من جوهره وطبيعته ، ويصوغ المعرفة للمحسوسات الخارجية فى قالبين :

القالب الأول : المكان .

والقالب الثانى : الزمان .

وكأن الفيلسوف « كانت » يريد أن يقول : ان المكان والزمان لا يتعلقان بالأشياء الخارجية فحسب ، بل هما انسانيان ، فمن طبيعة العقل وجود هاتين الصورتين وبخاصة صورة المكان وصورة الزمان ، اللتان لا نستطيع أن ندرك الأشياء المحسوسة الا داخلة فيهما .

---

(١) معانى الفلسفة للدكتور احمد فؤاد الاهوانى ص ٨٨ الطبعة الأولى — القاهرة .

والرأى الذى يذهب اليه علماء الطبيعة ، وخصوصا الذين يأخذون بنظرية « **اينشتاين** » وهى أحدث النظريات فى تفسير الكون يتضمن ان المعرفة الموجودة فى عقولنا لا تنفصل عن جملة الحضارة أو الثقافة السائدة فى العصر الذى يعيش فيه صاحب المعرفة . واننا نرى ان ادقاء الباحثين قد اجمعوا على أن الثقافة البشرية سلسلة متماسكة الحلقات ، تؤثر سوابقها فى لواحقها ، على صورة قد تكون واضحة ، وقد تكون غامضة .. وجوهر المعرفة موجود وجودا محققا ولكن نعت المعرفة من قلة او كثرة أو نسبية او اطلاق، أو فطرية أو اكتسابية .. هو الذى اختلف فيه الفلاسفة منذ أقدم عصور الفلسفة الانسانية .. فهى تارة نسبية .. واخرى مطلقة.. وثالثة فطرية كلها .. ورابعة مكتسبة كلها ترتكز على التجارب .

وكذلك تعيين القوة العارفة وتحديد مدى اختصاصها ، فمرة هى الحواس وحدها كما عند « **هيراقليطس** » واخرى هى الحواس مع العقل كما يرى « **أرسطو** » وثالثة هى البصيرة كما يرى « افلاطون » ورابعة هى العقل وحده كما يرى « **ديكارت** » .

ويعنينا أن نعرف ان المعارف الانسانية تنقسم الى قسمين :

القسم الأول :

ان المعارف الانسانية وهى عبارة عن مجموعة المشاعر والاحساسات المادية المتحصلة للانسان بواسطة بعض اجزاء بدنه.. وهى تمتاز بأنها بسيطة ساذجة خالية من الدقة والتعمق .. ويصفها الفيلسوف « **هيراقليطس** » بأنها اشبه بماء يسيل يمين شطئان غير

محدودة سيرا غير محدود المصير .. ونحن مدينون بهذه المعــارف للحواس التى نستعين فى توصيلها الينا بالزمان والمكان .

ولكن ليس هذا هو كل شىء .. بل ان الحواس تعانى فى نقل تلك المعارف عمليتين لابد منهما لحصولها لدينا وهما :

أولا : ارتسام تلك الأشياء المادية المراد نقلها .

ثانيا : نقل تلك الرسوم الى مكانها الطبيعى من النفس البشرية. فالمعرفة العامية لها بالضرورة درجتان :

الدرجة الأولى :

المعرفة الاحساسية البحتة ، وهى لا علاقة لهــا بذكريات الماضى ، ولا بأخبار المستقبل .

الدرجة الثانية :

هى ما تشترك النفس فى عمليته ، وهو منظم ثابت ، يتناول ماضى الحياة وحاضرها ، ومستقبلها .

القسم الثانى :

المعرفة العلمية : وهى التى يعول عليها فى الحياة الانسـانية ، ويعتمد عليها الانسـان فى الوصول الى ما قدر له .

واظهر الفروق بين المعرفة العامية ، والمعرفة العلمية هى :

* أن المعرفة العامية مقصورة على النواحى المادية والاجتماعية

فى الحياة ، بينما المعرفة الفلسفية تتناول فوق هذا تدبر أسرار الكون والوجود .

* ان المعرفة العامية موجودة لدى جميع أفراد بنى الانسان، على حين ان المعرفة الفلسفية مقصورة على أصحاب العقول المفكرة.

* ان المعرفة العامية فطرية توجد لدى كل من توفر فيه القدر المحقق للانسانية من العقل ، ولكن المعرفة الفلسفية مكتسبة بالمران والتطبيق الدقيق .

* ان المعرفة العامية معرضة للتاثر بالغريزة أو بالعاطفة ، فى حين ان المعرفة الفلسفية خليقة بأن تكون بعيدة من أثر هذين الباعثين(1) .

فالمعرفة تشمل محيطات واسعة تبدأ بالمعرفة العامية التى يشترك فيها جميع أفراد النوع البشرى .. ثم تصعد الى درجة التجارب الحسية على أيدى الطبيعيين أو الكيميائيين .. ثم تستمر فى صعودها الى درجة النظر العقلى عند الرياضيين والفلاسفة ، لكى تنتهى عند مرتبة التجارب التنكسية .

ومن هذا يتبين أن المعرفة تتطلب جهودا ضخمة ، للاحاطة الشاملة التى تتضمن القدرة على منح كل غصن من أغصان دوحتها

---

(1) المعرفة عند مفكرى المسلمين للدكتور محمد غلاب ص ٢١ ، ٢٢٥ طبع الدار المصرية للنشر .

المترامية الأطراف ، الطابع الذى يميزه عن غيره . واذا أردنا أن نتبين المعرفة فى الاسلام ، فيجدر ان نشير الى نظريات المعرفة فى أكثر الآراء الفلسفية مع أبعاد الآراء المتطرفة التى ابتدعها المنحرفون، وسنكتفى بالآراء التى تتمتع بالسيادة الفكرية ، وتعتمد على أدلة فوق مالها من رجال ومؤيدين .

الرأى التجريبى :

ورجال هذا الرأى يقولون : ان المعارف مهما بلغت من التجريد والاستقلال عن الأمور الحسية ، فلا يمكن القول بأنها أمور مركزة فى الفطرة ، بل هى كغيرها يكتسبها الانسان عن طريق الملاحظة والتجربة .

ويفسر التجريبيون نشأة العلوم الرياضية ، بأن الانسان قد اتجه منذ القدم الى الظواهر الحسية ، فقاس الأبعاد والجصى والسطوح والأشكال ، واستخدم بعض الوسائل الحسية كالأصابع والحصى فى التعبير عن الاعداد ، ثم استطاع آخر الأمر أن يجرد المعانى الرياضية من ملابساتها الحسية ، فاهتدى الى الخط المستقيم والخطوط المتوازنة والمربع والدائرة وغير ذلك من الأشكال الهندسية(١) .

---

(١) محاضرات فى مناهج البحث للشيخ محمد خليل هراس ص ١٣ دار الطباعة المحمدية .

وطريق المعرفة فى المذهب التجريبى هو : الخبرة الحسية واذا أغلقت الحواس أبوابها انعدمت المعرفة ، فلن تنشأ فى العقل أفكاره، الا اذا سبقتها مؤثرات حسية(١) .

الرأى العقلى :

« ورجال هذا الرأى » يرون أن العقل وحده كاف فى الوصول الى المعارف وادراك مفاهيمها . وليس الانسان بحاجة الى أن يرجع الى الطبيعة لكى توحى اليه بفكره « الكم المتصل » أو « الكم المنفصل » أو ترشده الى التعاريف الرياضية .. بل ان المعانى توجد فى العقل بصفة فطرية وليست مكتسبة بالتجربة .. والأمور الظاهرية هى عوامل ثانوية تحفز العقل على الابتكار والابداع والايجاد .

وطريق المعرفة فى الرأى العقلى لا يرتكز على الحواس وحدها لأنها تخطىء وتصيب ، ولهذا لا تصلح أساسا للمعرفة . وانما أساس المعرفة هو العقل الذى يدرك ادراكا مباشرا والعقل الذى يشك ويفهم يدرك ويثبت ويريد ويشعر — كما يقرر « ديكارت » وهو صاحب الرأى العقلى فى الفلسفة الحديثة .

والعقليون لا يرفضون ما تجىء به الحواس ، ولكنهم لا يعتمدون عليها اعتمادا كليا ولا يقطعون فى الأخذ بها .

---

(١) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى للأزهر ص ٩٠ مطبعة الأزهر ١٩٦٠ م

الرأى النقــدى :

ويطلق الباحثون على رجال هذا الرأى « الموفقين » ويرى هؤلاء : انه لا تعارض بين المذهب التجريبى والرأى العقلى بل أنه من الممكن الجمع بينهما ، وان كلا من العقليين والتجريبيين قد أدرك وجهى الحقيقة ، وغفل عن وجهها الآخر ، فتعصب لرأيه ، وغلا فى الانتصار له .. والحقيقة انما تتم بالعقل والتجربة ، فكلاهما متمم للآخر . فليست المعانى فطرية فى النفس كما يزعم العقليون ، وليس العقل وحده كافيا فى كشف المعارف . كما أن الملاحظات والتجــارب لا يمكن أن تكون هى المنبــع الوحيد للمعــرفة أو هى العمدة فى ادراكها .

فالرأى النقدى يجمع بين الرأى التجريبى والرأى العقلى . وقد رأى (كانت) هذا الرأى مقررا ان المعــرفة لا تتم الا بالخبرة الحسية والمبادىء العقلية معا ولا شك عند (كانت) فى ان جانبــا منها يأتى من الخارج ، وهو جانب الحســية التى تتثبت من الاشياء وحينما يتلقى العقل ذلك ، ينظمه فى حدوده .. ومن ثم يكون جزء من المعرفة معتمدا فى مضمونه على خبره الحواس وفى قالبه على فطرة العقل فى طريقة الادراك . وهكذا يكون كل جزء من المعرفة حسيا وعقليا فى آن واحد معا(1) .

---

(1) راجع مقالنا فى مجلة (قافلة الزيت) عــدد ذو القعدة ١٣٩٢هـ ص ٣ الظهرات السعودية وكتاب (المعرفه فى ظل الاسلام) ص ٢٩ .

الرأى الصـــوفى :

اذا كانت وســـيلة المعرفة عند التجـــريبيين هى الحواس ، ووسيلتها عند العقليين هى العقل ، ووسيلتها عند النقديين هى الحواس والعقل معا . فان وسيلة المعرفة عند الصوفيين والنسكيين تختلف عن الآراء والمذهب السابقة لأن هؤلاء يرون ان العلم اليقين انما يجيء عن طريق الحدس .

والحدس : هو الادراك العقلى المباشر الذى يدرك به العقـــل الحقائق ادراكا ، وتزعن له النفس اذعانا ، وتوقن به ايقانا لا سبيل الى دفعه(١) .

والحدس اذن كشف عقلى بلغ من الظهور والوضوح ان زال معه كل شك وبلغ من السرعة والبساطة ان يتم دفعه لأعلى التعاقب والحدس عند الصوفيين ينهض على صفاء القلب ، ومجاهدة النفس حتى تصل الى مرتبة الصفاء تتيح لها من المعارف ما لا تصـــل اليه الحواس والعقول معا(٢) .

الرأى العملى ــ (البراجماتزم) :

وهذا يخالف الرأى الصوفى كما لا يرضى لأى راى أو مذهب وفلسفة البراجماتزم فلسفة تقدم العمل ثم تستخلص منه المعرفة ومن هنا أجاز هذا الرأى جميع الظواهر(٣) .

---

(١) محاضرات فى الفلسفة للدكتور سليمان دنيا « مذكرات » .
(٢) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى بالأزهر ص ٩٠ سنة ١٩٦٠م
(٣) فصول فى الفلسفة للفيلسوف جود ترجمة ماهر كامل ص ٢٥٨ .

والبراجماتية : اصطلاح فلسفى يطلق على المذهب القائل بأن الحقيقة فى صميم التجربة الانسانية ، وأن المعرفة آلة او وظيفة فى خدمة مطالب الحياة ، وان صدق قضية ما هو فى كونها مفيدة ، وأن الفكر فى طبيعته غائى (أى له غاية) ويعنى هذا أن التاريخ البرجماتى معناه : الكشف بالاستناد الى معرفة الماضى وكلمة براجماتية كلمة قديمة ومستعملة بمعان مختلفة الا انها تعرف الآن مقترنة باسم الفيلسوف الأمريكى « **تشارلس ساندرزبيرس** » رافع أسس المذهب البراجماتى(١) والمعرفة فى حقيقتها ليست مجرد العلم بالواقع كما هو ، بل هى أداة السلوك العملى الذى يأتى **النفع**(٢) .

وتلك أهم مذاهب المعرفة التى اهتدى اليها علماء وفلاسفة الغرب ، وبعض الصوفيين والمتنكسين . وقد تفرعت عن هذه المذاهب نظريات فكرية عديدة وراح كل فريق يغالى فى التأييد لرأيه ومذهبه حتى أصبح لا يرى الحقيقة الا فيه .

والنظريات والآراء التى ذهب اليها التجريبيون والعقليون والنقديون والمتنسكون والبراجماتيون وغيرهم، هى من وضع ناس فكروا وبحثوا واصلوا الأصول ، وقعدوا القواعد فوصلو الى ما هداهم اليه البحث والفكر والنظر والعقل .

اما الاسلام فغير هذا كله ، لأن الاسلام من عند الله ، الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وما كان من عند الله كان أتم وأكمل .

---

(١) دائرة معارف مجلة الفيصل ص ١٥٣ عدد رقم ٢٠ السعودية .
(٢) مجلة الهادى المجلد الأول العدد الأول ص ٢٩ (قم ايران) .

والباحث يرى أن الاسلام وثب بالمسلمين وثبتين هائلتين :

الوثبة الأولى :

كانت على أثر اشـــعاع القرآن الكريم فى جنبـــات الدنيـــا والانسانية فأنارها بعد ظلمة ، وهدى الانسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتتاق ، وأزال الأصفاد والقيود التى كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر .. وكان من ذلك أن نبه الى وجوب النظر فى الكون العام ، وفى النفس الانسانية ، وفى الأسباب والمسببات ، فكان بهذا مصباحا أنار الدنيا ، وأضاء أفق الانسانية وأشرق بالمعرفة الصحيحة .

الوثبة الثانية :

كانت بعد نقل الحكمة والعـــلوم الى اللغـــة العربية ، وبهذا تفتحت العقول الى ألوان مختلفة من الثقافات والمعارف .

والباحث المنصف يرى أن الاسلام فى وثبتيهالأولى والثانية قد وضع أسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير وتحيط بجميع الجوانب ، وتستوعب الطرق كلها ، وتجعل منها كلا متكاملا غير قابل للتمزق والشتات .

وتقوم المعرفة فى الاسلام لا على أساس نظرية تحتاج الى دراسة وتأمل وانما على أساس التعادل بين الكم والكيف ، وبين

المادة والروح ، وبين الغاية والسبب ، وبين الدنيا والآخـــرة ، فلا افراط ولا تفريط ، طبقا لقوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (١)

لقد ربط الاسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم أو الوجدان النقى السليم . فالاسلام يدعو الى استعمال الحواس ، وبخاصة حاستى السمع والبصر . قال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ (١)

---

(١) سورة الانعام الآية رقم ١٥٣ .
(٢) سورة ق الآية من ٦ — ٨ .

وقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (١)

وقال تعالى

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (٢)

الى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تدعو الى التدبر والتبصر والتفكر ، والتأمل والنظر ، واستعمال الملكات العقلية . قال تعالى:

« ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »(٣) .

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ .
(٣) سورة الاسراء الآية رقم ٣٦ .

والحواس وحدها قد لا تغنى فى أمور كثيرة ، ولهذا نستعين بالبصيرة الملهمة ، والعقل الراجح النفاذ ((**فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**))(١) .. أما طريق الحدس الوجدانى الذى يصل اليه الانسان بمجاهدة النفس وتقوى الله ، فقد أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا))(٢) .

وفى قوله تعالى :

((ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب))(٣) .

وفى قوله تعالى :

((يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا))(٤) .

فالاسلام الحنيف قد جمع بين جميع المواهب والملكات ، سواء منها الحسية أو المعنوية ، المنطقية أو الروحية ، ليصل الانسان الى الكمال المنشود فى ظلال تعاليم القرآن الكريم التى جاءت لترشد الانسان الى مافيه السمو بالفكر والعقل .

---

(١) سورة الحج الآية رقم ٤٦ .
(٢) سورة الانعام الآية رقم ٢٩ .
(٣) سورة الطلاق الآية رقم ٢ ، ٣ .
(٤) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٩ .

وقد سجل القرآن الكريم طرقا شتى يكشف الحقيقة ليتخذ كل فرد من بنى الانسان الطريق الذى يلتئم مع مستواه ، ويتسق مع عقليته .. والطرق التى جاء بها الاسلام تتطابق مع مراتب الانسانية ودرجاتها ، وتتجارب مع حاجاتها ورغباتها .

الطريق الأول ـ (طريق النظر والتأمل فى السموات والأرض) :

ولهذا الطريق مرحلتان : أرضية وسماوية والمرحلة الأرضية ألصق المراحل بالأرض ، وهى تخاطب عامة النـــاس بما يبدو فى أيديهم من مرئيات ، ثم توجههم الى استنباط ما هو بعيد عنهم لعلهم يهتدون .

قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١)

والمرحلة السماوية اســـتطاعت أن تظفر بحظ من تطـــور الانســانية ورقى العقلية . وهذا دليل على أن الانسـانية قد ارتقت بعض الشىء وأصبحت جديرة بالنظر الى الســـماء ثم النظر فى السماء . قال تعالى :

---

(١) سورة الغاشية الآية من ١٧ ـ ٢٠ .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ (٢)

فالآية الكريمة : ((**افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت**)) مليئة بالرحمة فائضة بالاشفاق على اولئك الناس ، ومن ثم تتواضع فتنزل الى مستوى الناس الفكرى وتجاريهم حتى يتمكنوا من المعرفة .

أما الآية الكريمة : ((**أفلم ينظروا الى السماء فوقهم ..**)) فتفيد أن فريقا من الناس قد ارتقى وصعد بعض الشىء ، وأصبح جديرا بالنظر الى السماء أولا .. ثم بالنظر فيها ثانيا ، ثم بمقياس مالا يرى على ما يرى ، واستنباط نتائج محققة سامية من مقدمات بسيطة ميسورة .

والاسلام لم يشأ أن يقفز بهؤلاء قفزة قد تكون فوق مستواهم العقلى ، لهذا وقف بهؤلاء ريثما يعدهم للدرجة التى تليها وهى درجة النظر فى ابداع السموات وسير الكواكب فى أفلاكها .. وفى هذا يقول الله تعالى :

---

(١) سورة ق الآيات من ٦ — ٨ .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ
ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤ .
(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٥ .

وقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١)

الطريق الثانى ــ (الأسباب والمسببات) :

والأسباب والمسببات طريق من طرق المعرفة فى الاسلام وهو طريق لفريق من البشر ، لأن كثيرا من الناس لا يقنع الا بأفاعيل الأسباب فى مسبباتها ولا يرضيه سوى التأمل فى نشوء المسببات عن أسبابها .. وهذا الطريق يصل ما بين الارادة والوجدان ويضع الخطوط المثالية للسلوك . وهذا الطريق يمكن الأسباب والمسببات من الصعود الى ما وراء الطبيعة ليصل الانسان الى معرفة الخالق وعظمته وعدله وحسابه وجزائه .

وكيفية استعمال هذا الطريق يقول عنها أحد قادة الفكر :

« هى ان المستدل ينظر أولا الى ما حوله من المرئيات ، ثم يحاول أن يتبين أسبابها المباشرة أى المؤثرة فيها بلا أية واسطة ، فاذا تبينها أسرع الى الاغضاء عن سببيتها واعتبرها مسببات لما

---

(١) سورة الروم الآية رقم ٢٥ .

قبلها ثم بادر الى البحث عن التى قبلها فاذا اهتدى اليها سلك بازائها نفس مسلكه بازاء ما سلف ، حتى ينتهى الى الحق الذى هو الغاية المنشودة والنهاية المقصودة »(1) .

وهذا شيء من آيات السببية والمسببية الدالة على وجود المبدع ، او الدالة على البعث وامكانه . قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ﴾(2)

وقال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ

---

(1) المعرفة فى ظل الاسلام ص ٤٦ .
(2) سورة ق الآية رقم ٩ — ١١ .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة النحل الآيات من ١٠ — ١٣ .
(٢) سورة الحجر الآيات من ١٩ — ٢٣ .

وقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١)

ومن طريق الأسباب والمسببات وصل المفكرون الى أسرار الكون وخفايا الوجود ومعرفة الخالق جل وعلا .

الطريق الثالث — (طريق المعقولات المحضة) :

ويمكن العثور على ذلك فى قوله تعالى :

((وفى أنفسكم أفلا تبصرون)) ، والمعقولات المحضة لا يدركها الا علية الصفوة من المفكرين والتى يغلق الباحث عندها أعين المادة والذهن المعتمد على الحواس ، ويفتح عين القلب النقى لينفذ بواسطة نوره الى ما وراء حجب المرئيات فيتفكر فى ملكوت المعقولات والذى لا يقاس به ملك المحسوسات لأن النسبة بينهما منعدمة بالطبع))(٢) .

الطريق الرابع — (طريق البديهيات العقلية) :

والبديهيات قضايا عامة شديدة العموم يضعها العقل ويسلم بصدقها وتبدو كأنها مركزة فى العقل ، فهى ضرورية لا يمكن اقامة البرهان على صدقها مثل :

---

(١) سورة فصلت الآية رقم ٣٩ .
(٢) المعرفة فى الاسلام ص ٨٣ .

(ا) الكميات المساويات الثالث متساويات .

(ب) اذا أضيفت كميات متساوية الى أخرى متساوية كانت النتائج متساوية .

والبديهيات تستخدم كمقدمات لاستنباط النتائج التى تترتب عليها ، وقد اختلف الباحثون فى نشأة البديهيات . فذهب العقليون الى أن البديهيات قواعد عامة وضرورية فلا يستطيع العقل انكارها ولا تناقص .

وذهب التجريبيون الى أنها من أصل حسى وانها مكتسبة بالملاحظة والتجربة .. على كل حال ، فهذا الطريق يعد فى عالم الفكر المنطقى المحض أسمى الطرق وأقربها الى القمة ، وأدناها الى أوج الكمال الانسانى . وهذا الطريق منبثق من داخل النفس، مؤسس على الحق الواضح الثابت ، وهو الفكر المحتوى فى آية : « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » .. ومجمل هذا الفكر ان كلا من المؤمن والجاحد والمرتاب يصدر فيما يذهب اليه عن فكر .. وهناك طرق أخرى كثيرة لا تقل شأنا عما سبق مثل الآيات الكونية فى الانسان . وفى الكائنات الحية ، وفى النبات ، وفى العالم العلوى ، وفى الأرض وما عليها . ومن كل هذا يتبين ان طرق المعرفة فى الاسلام تلائم الانسانية كلها حسب درجاتها فى الكمال الفكرى .. وان القرآن الكريم خاطب الناس على قدر ثقافتهم وفكرهم ليصل بهم الى ذروة ما قدر لكل من الفهم والادراك .

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب ٧٠٤٠ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى ٨ــ٤٣٠٠ــ٠٣ــ٩٧٧ ISBN

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

الثمن ١٨٠ قرشاً

مطابع الأهرام بكورنيش النيل